وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان :

الإشاريات في القرآن الكريم الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم - أنموذجا -

- دراسة تداولية -

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في اللسانيات العربية

إعداد الطالبين :

– بوميدونة عبد اللطيف

– لولو مهدي

إشراف الأستاذ:

أ.د– مدور محمد

نوقشت وأجيزت بتاريخ :

أمام لجنة المكونة من السادة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
مسعود السيراج		جامعة غرداية	رئيسا
محمد مدور		جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
عبد القادر برجي		جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي :

1442–1443 هـ / 2021–2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى آبائنا

نهدي هذا العمل المتواضع إلى أمهاتنا

أطال الله في أعمارهم على طاعته

ومتعهم بالصحة والعافية

وإلى أفراد أسرتنا من إخوة و أخوات وإلى كل أقاربنا...

و كما نهدي هذا العمل إلى كل من تعلمنا عليه حرفا حتى وصلنا إلى

هذه المرحلة....

و إلى كل من أعاننا على إنجاز هذا البحث وأرشدنا فيه، وإلى كل من ساهم

في رفع راية الإسلام والدفاع عنها ورد شبهة كل حاقد وحاسد....

إلى هؤلاء جميعا نهدي ثمرة جهدنا....

شكر وعرفان

في البداية فإن كل الحمد والشكر في الأول والآخر لله رب العالمين الذي وفقنا وأعاننا طيلة مسيرة هذا البحث، ونسأله تعالى أن يتقبله منا، وأن ينفعنا به وغيرنا، آمين.

ونتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور:"محمد مدور" على إشرافه على هذه الرسالة وعلى كل توجيهاته ونصائحه، وحرصه على إتقان هذا العمل فجزاه الله خير الجزاء.

كما نتقدم بشكرنا الجزيل للجنة المناقشة على جهدها وعلى كل ما بذلته في سبيل تقويم هذا العمل، فلها كل الاحترام والتقدير.

كما نشكر جميع الأساتذة والإداريين في كلية الآداب واللغات بجامعة غرداية على ما قدموه لنا في سبيل العلم والمعرفة.

ولا يفوتنا أن نشكر كل من تفضل علينّا بمساعدة أو نصيحة أو توجيه من قريب أو من بعيد في سبيل إنجاز هذه الرسالة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مهدي لولو وعبد اللطيف بوميدونة .....

pngtree.com

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء، فحفظه من الضياع أو الزيادة والنقصان، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، الذي كان خلقه القرآن، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فلقد اهتم رجالات العلم بكتاب ربهم فدرسوه من كل جانب، محاولين الوقوف على أسراره؛ فألفوا في ذلك الكتب العظيمة في أفانين متباينة، والقرآن بحر لا تنتهي عجائبه ولا تفنى بدائعه، وجواهر مكنونة، يقتنصها من رزق عونا من باريه، فرزق إخلاصا في العمل ويقظة في الذهن،وهو أبلغ من كل ما قيل وكتب فيه، والقرآن الكريم متواتر النقل معصوم من الزلل، بلغ نظمه القمة في الفصاحة وروعة البناء وجودة السبك، حتى أدرك ذلك المؤمن العاقل، وشهد بفصاحته العدو الكافر، من ذلك أن الوليد بن المغيرة قد وقع تحت سلطان بلاغته الآسرة للنفوس، فلم يستطع إلا أن يردد:"والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر،وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى"[1]

ولقد جاء القرآن على أساليب العرب وطرائقهم ؛ ولكن بنفس بليغ ، وإعجاز مهيب مراعاة لما تقتضيه أحوال المخاطبين مؤمنهم وكافرهم ، وإن مما لفت انتباهنا فيه: آلية الإشاريات في الخطاب، والتي من أهم أنواعها الإشاريات الشخصية المتمثلة بالتحديد في" الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن ، وما له من معاني لغوية وبلاغية.

وذلك لأن هذا الموضوع لم يستوف حقه من البحث، غير منكر أن لبعض الباحثين بحوث متعلقة بجوانب أخرى، فلقد اتسم القرآن الكريم بأسلوبه الذي نال من البلاغة ذروتها، فحروفه مؤتلفة، ونظم كلماته يأخذ بالألباب، بلغ في الفصاحة والبيان شأوا لم يبلغ قريبا منه قائل- ولا يزال الموثوق بهم من علماء الأمة – إلى أن يشاء الله – يستنبطون معاني التنزيل ويستثيرون دقائقه و يغوصون على لطائفه، وكتاب ربي أوسع من أن يبلغ منتهاه.

[1] الكشاف للزمخشري، ج04ص694.

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية هذه الدراسة في بيان مفهوم الإشاريات في الخطاب التداولي، وأهميتها المتمثلة في التحليل النصي والتداولي، ووظائفها ،وأنواعها الأربعة.

وتسليط الضوء على نوع من أنواع، وهي الإشاريات الشخصية التي تتمثل في الضمائر بمختلف أنواعها،وبالتحديد تخصيص الكلام على الضمير الغائب في القرآن الكريم، وبالضبط الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم.

أسباب اختيار الموضوع:دفعني لاختيار هذا الموضع مجموعة من الأسباب تمثلت في:

-التعرف على مفهوم الإشاريات وعلى أهميتها في الدراسات التداولية.

- الإطلاع على أنواع الإشاريات، وبيان خصائص كل نوع منها.

- اكتشاف الأغراض اللغوية للضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم.

- الميل إلى الدراسات القرآنية والرغبة في استكشاف بعض أسرار لغته، والحصول على شرف تناول جانب من جوانب القرآن الكريم.

الإشكالية:

وأما عن إشكالية الدراسة ،فتمثلت في محاولة بيان مفهوم الإشاريات،وإبراز أهميتها ووظائفها، ومحاولة لتفصيل أنواعها: المكانية والزمانية والشخصية والإجتماعية، وتركيز البحث على الضمائر التي تمثل العنصر الأساسي التداولي في الخطاب القرآني، وتسليط الضوء على الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير.

الدراسات السابقة :

بعد البحث والإطلاع في المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع أو أشارت إليه، أو تناولت جانبا من جوانبه، فقد وقفت على مجموعة من الدراسات التي لها تعلق قريب بموضع دراستي وممن أهمها ما يأتي:

-البعد التداولي في الخطاب القرآني – سورة مريم أنموذجا- :من إعداد الطالبة: سمية نيد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،تحت إشراف:أ.د. يحي بن يحي، جامعة غرداية، كلية الآداب واللغات. سنة :2014م-2015م.

وهذه الدراسة تناولت الخطاب التداولي وأبعاده في القرآن الكريم، ولكنها لم تهتم بالإشاريات بل توسعت في تناولت عناصر التداولية في العلوم اللسانية، و اهتمت أيضا بسورة من سور القرآن وهي سورة مريم ، وتوسعت في أبعاد خطاباتها الربانية.

-الإشاريات في شرح المفصل لابن يعيش ، مقاربة تداولية نصية ، من إعداد الطالب: عبد القادر جعيدير، تحت إشراف: أ.د بن عروس مفتاح ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، تخصص علوم اللسان وتحليل الخطاب ، سنة :2014م-2015م، جامعة غرداية .

هذه الدراسة تمس جانبا أساسيا من دراستي، وهو تعريفها بالإشاريات وأهميتها ووظائفها، وبيان لأنواعها ، غير أنها طبقت الإشاريات في مدونة من مدونات اللغة العربية العريقة ،وغير أن دراستي متعلقة بأعظم كتاب وهو القرآن الكريم، وخطاباته الجلية، وإشارياته القوية، باعتباره أبلغ كتاب وأفصح كلام ، وقد استفدت من هذه الدراسة في جانبها النظري.

- مقال تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، أ.حمادي مصطفى ، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس الجزائر، مجلة الأثر، العدد26، سبتمبر ، 2016 م.

تناولت هذه الدراسة الإشاريات في الخطاب القرآني بصفة عامة ولم تخصص منه جزءا معينا ، واهتمت بالجانب النظري بشكل عام، غير أن دراستي تناولت تطبيقا للإشاريات في القرآن الكريم من ناحية الضمائر العربية،وقد استفدت منها في التنظير لدراستي في ما يتعلق بالإشاريات.

أما عن الخطة المتبعة في إعداد هذه الدراسة:

فتوزعت على مقدمة وفصلين وخاتمة، تناولنا في المقدمة توطئة عن موضوع الإشاريات، وأسباب اختيار هذا الطرح للدراسة، وأهميته في علوم اللغة العربية واللسانيات بصفة عامة.

وأما في الفصل الأول فتعرضنا للإشاريات ومفهومها وأهميتها في الخطاب التداولي، وكان ذلك ضمن مبحثين،خصصنا الأول منهما لبيان مفهوم الإشاريات في اللغة و في اصطلاح علماء اللغة العربية القدامى والمحدثين، وفي اصطلاح الدراسات اللسانية التداولية.

ثم خصصنا الثاني منها في بيان أهمية الإشاريات في الخطاب التداولي ووظائفها فيه، ثم تكلمنا في المبحث الثالث منها على أنواع الإشرايات، وهي أربعة خصصنا لبيان كل نوع من أنوعها مطلبا ، فجاء هذا المبحث في أربعة مطالب.

وأما الفصل الثاني من الدراسة، فهو الجانب التطبيقي منها للضمير الغائب العائد على الرسول في الربع الأخير، فتناولنا فيه الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في مبحثين:

كان المبحث الأول منه في بيان الضمير الغائب بتعريفه،وبيان دلالته في اللغة العربية، فتعرضنا لمفهوم الضمير في اللغة والاصطلاح، ثم تطرقنا لأحوال الضمير في اللغة العربية، ثم تقسيمات علماء اللغة للضمائر ومن بينهما ضمائر الغيبة.

ثم ذيلنا هذا الفصل بمبحث ثاني تناولنا فيه معاني الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم، في مواضع من سور هذا الربع الأخير وكشفنا فيه عن دلالات الضمير,ما احتواه من معاني بلاغية راقية.

وبالطبع أردفنا هذه المباحث كلها بخاتمة حوت أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

الفصل الأول: مفهوم الإشاريات وأنواعها في الخطاب التداولي : وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإشاريات لغة اصطلاحا.

المبحث الثاني : أهمية الإشاريات ووظائفها.

المبحث الثالث: أنواع الإشاريات .

الفصل الأول: الإشاريات مفهومها وأنواعها في الخطاب التداولي:

في هذا الفصل سنتناول مفهوم الإشاريات في اللغة والاصطلاح في المبحث الأول ثم نتناول أهميتها و أنواعها في الخطاب التداولي في المبحث الثاني، وهذا ما سنبينه وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم الإشاريات لغة واصطلاحا:

المطلب الأول: مفهوم الإشاريات لغة:

يختلف مفهوم الإشاريات كمصطلح علمي بين اصطلاح الغرب، وبين ما يصطلح عليه العرب في معجماتهم اللغوية.

فلفظة:"الإشاريات" عند الغرب:تطلق على عدة مصطلحات ومفاهيم على المعينات:(dectiques) في الدراسات الغربية، وتعني المعينات:لغة الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتمثيل والتبيان والتأشير.

ومن بينها القرائن المدمجة أو الواصلة:(embtayeurs)كما عند رومان جاكبسون :"romanjakabson " ،أو الوحدة الإشارية :"indice "عند شارل بيرس: "peirce"، أو التعبير الإشاري كما عند:"بار هيل":"hille-bar"،أو المؤشر:"indicateur"،أو دليل التلفظ:" indice De l'énonciation"أوالقرائن الإشارية :"chifterss"باللغة الإنجليزية.[1]

فالإشاريات في اللغة مصطلح تلتقي معانيه في التعيين وتوجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، ولهذا سميت بالمعينات.

الفرع الأول:مصطلح الإشاريات عند العرب :

جاء في لسان العرب لابن منظور:"وأَشار عَلَيْهِ بأَمْرٍ كَذَا: أَمَرَه بِهِ. وأَشار الرَّجُلُ يُشِيرُ إِشارَةً إِذا أَوْمَأَ بيديْه، وَيُقَالُ: شَوَّرْت إِليه بِيَدِي وأَشرت إِليه أَي لَوَّحْت إِليه وأَلَحْتُ أَيضاً... وأَشارَ عَلَيْهِ بالرَّأْيِ وأَشار يُشِير إِذا مَا وَجَّه الرَّأْي"[2]

وورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:"(شَوُرَ) الشِّينُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ مُطَّرِدَانِ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا إِبْدَاءُ شَيْءٍ وَإِظْهَارُهُ وَعَرْضُهُ، وَالْآخَرُ أَخْذُ شَيْءٍ.

---

[1] د.جميل حمداوي ، المقاربة التداولية في الأدب والنقد ،2014 httpe//almothaqafe.com/index.php/ariants

[2] ابن منظور، لسان العرب ، مجموعة دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ ، مادة شور،ج04ص437.

فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: شُرْتُ الدَّابَّة شَوْرًا، إذَا عَرَضْتَهَا. وَالْمَكَانُ الَّذِي يُعْرَضُ فِيهِ الدَّوَابُّ هُوَ الْمِشْوَارُ... وَالْبَابُ الْآخَرُ: قَوْلُهُمْ: شُرْتُ الْعَسَلَ أَشُورُهُ. وَقَدْ أَجَازَ نَاسٌ: أَشَرْتُ الْعَسَلَ فَكَأَنَّ الْمُسْتَشِيرَ يَأْخُذُ الرَّأْيَ مِنْ غَيْرِهِ...."[1]

والإشارة هي ما يدل على أن أي شيء يتعين من جهة بموضوع؛ وتميز من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل، وهي حدث أو شيء يدل على حدث أو يشير إلى شيء آخر.[2]

وأما الإشاريات فهي ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة، حصرها"ليفنسون" في: إشاريات شخصية، إشاريات مكانية ، إشاريات زمانية، و إشاريات إجتماعية و إشاريات خطابية.[3]

الفرع الثاني:مصطلح الإشاريات عند القدامى والمحدثين:

أولا:عند القدامى:

يعتقد بعض الباحثين أن مصطلح الإشاريات يقابله في الدرس اللغوي القديم مصطلح :"المبهمات"[4]

ثانيا :عند المحدثين:

لا نكاد نقف عند مصطلح موحد عند الدارسين العرب المحدثين، ويتضح هذا الأمر مثلا عند:

-قاسم المقداد:ويطلق عليها اسم مرجعيات الملفوظ، ويظهر ذلك في ترجمته لكتاب الملفوظية،لجان سيرفوني.

-محمد مفتاح:ويطلق عليها اسم المعينات، كما ورد في كتابه تحليل الخطاب الشعري.

-تمام حسان:يطلق عليها اسم المعينات، كما ورد في كتابه:البيان في روائع القرآن.

-أحمد محمد يونس علي:يطلق عليها اسم التعيين،ويظهر ذلك في كتابه:مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب.

- أحمد المتوكل:يطلق عليها اسم الإشارة في كتابه: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، 1399هـ - 1979م،ج03ص226.

[2] نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب- دراسة معجمية- جدار الكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، ط1، 2009،ص86.

[3] المرجع نفسه ، ص87.

[4] : ينظر الجانب التأصيلي عند حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،د، ط،تيزي وزو،الجزائر،دار الأمل،د، ت، ص77-78 .

المطلب الثاني: مفهوم الإشاريات إصطلاحا:

الفرع الأول: مفهوم الإشاريات في الدراسات اللسانية:

الإشاريات هي مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الرمز أو المكان، حيث يتحيز الملفوظ الذي يرتبط به معناه، من ذلك: الآن، هنا ،هناك ، أنا ، أنت ، هذا، هذه،...،وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه.[1]

فالتعبير الإشاري مصطلح يطلق على الصيغ اللغوية التي تستعمل للقيام بالإشارة بواسطة الخطاب الكلامي.

فالإشاريات مثل: أسماء الإشارة والضمائر، وظروف الزمان والمكان، والصيغ الانفعالية كالنداء والتعجب وأسماء القرابة ، وهي من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي الذي وردت فيه، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك سميت مبهمات أو متحولات.[2]

تتميز بعض الألفاظ اللغوية بإبهامها الشديد، بحيث لا تتضح معانيها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، ويطلق على العملية التي يحدد فيها المفهوم بتلك الألفاظ "التعيين": deivis.[3]

إذن نقصد بها ما يحيل على هيئة المقال، وما يتصل به من زمان ومكان:(أنا، هنا، الآن) وبتعبير آخر هي الضمائر والظروف، وأسماء الإشارة،...وتسمى هذه المعينات مرجعية للخطاب بتصنعها لها"[4]

الفرع الثاني:المفهوم العام للإشاريات :

ويمكن أن نعرفها تعريفا شاملا فنقول:هي مجموعة من المرجعيات المبنية على شروط التلفظ الخاصة، وظروفه كهوية المتكلم ، ومكان التلفظ، وزمانه، والإشارة هي علاقة تربط بين تعبير ما وما يشير إليه ذلك التعبير في المناسبات التي يقال فيها،وكذلك ترتبط بالقول، لأنه مرتبط يالسياق، فالإشارة المجردة عن سياقها غامضة لا تحمل دلالة معينة،ولاتتحدد دلالتها إلا في المقام الذي قيلت فيه، لأن الإشاريات حسب

---

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1993م ،ص116.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص80.

[3] أحمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، بيروت ، لبنان،2004م ،ص21.

[4] مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري،إستراتيجية التناص،ط3، الدار البيضاء،المغرب،المركز الثقافي العربي ،1992م، ص151.

"لينفسون" تذكير دائم بأن اللغات الطبيعية وضعت في الأساس من أجل التواصل المباشر بين الناس، وجها لوجه، وتبرز أهميتها حين يغيب عنا من تشير إليه، فيسود الغموض ويصعب الفهم.[1]

وقد قدم الباحث محمد أحمد نحلة مثالا تقريبيا عن الإشاريات، وأهمية معرفة ساقها الذي قيلت فيه من أجل تحديد عناصرها وهو كالأتي:"سوف يقومون بهذا العمل غدا،لأنهم ليسوا هنا الآن"

ففي هذا المثال الكثير من العناصر الإشارية الغامضة، الأمر الذي يحتم على الباحث اللغوي تحليلها وإدارك معانيها بأن ينظر في السياق المادي الذي قيلت فيه، والعناصر الإشارية هي: واو الجماعة،وضمير الغائبين، واسم الإشارة "هذا"،وظرف الزمان" غدا،الآن"،وظرف المكان"هنا"،ولا يتضح معنى الجملة إلا بتحديد السياق الذي أنتجته كونه العامل الأساس؛ لتحديد المقصد الذي تشير إليه هذه العناصر، والمستنتج من هذا الكلام: أن الخطاب الكلامي له عناصر إشارية وعنصر السياق.

الفرع الثالث: آلية عمل الإشاريات :

يذهب لنفنسون إلى أن"الإشاريات تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة،بأن اللغات الطبيعية وضعت للتواصل المباشر بين الناس أساساً ،أو وجها لوجه،كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيبُ عنا من تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم"[2]

ومن هنا يتحددُ مرجع الإشاريات بين المتكلم والسامع،وينحصر الخطاب اللغوي في إنتاجه على هذه الإشاريات،ويمكن تبسيط عملية التواصل بين المتخاطبين وتفصيلها،ومعرفة آلية عمل هذه الإشارات في تقسيم الملفوظات على النحو التالي:

-الخطاب المخاطب (المرسل) مجال أو بيئة التواصل.

-مجال أو بيئة التواصل.

-المخاطب (المتلقي).

-عناصر إشارية مختلفة السياق الذي قيل فيه الخطاب.[3]

---

[1] ينظر: أحمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى ، ص107.

[2]ينظر: نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص16.

[3]ينظر:وداد علي يوسف، البعد الإشاري في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلة المقاصد والأبعاد، مجلة كليات التربية ،العدد السادس عشر،ص390.

ويحصرها بعض الباحثين في :

1-الأنا، 2- الهنا ، 3-الآن ، ونشرحها كما يأتي:

-الأنا: هو جميع الضمائر : المتكلم والمخاطب .

-والهنا: هو جميع أسماء الإشارة والمعرفة وظروف المكان.

والآن: هي ظروف الزمان التي يمكن أن تكون بارزة أو مضمرة.[1]

من هذا يتضح أن الإشاريات مثل أسماء الإشارة والضمائر من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فالبرغم من ارتباطها إلا أنه مرجعٌ غير ثابت.[2]

وككل العناصر التي يتضمنها الحد تشكل الإشارة- الإشاريات- سمة تداولية، ودليل تداوليتها أنها مرتبطة بالمركز الإشاري الذي يمثل أهم عناصر المقام[3].

هذا ويطلق مصطلح المبهمات على الوحدات اللغوية التي تتوقف قيمتها المرجعية على المحيط الزماني والمكاني لورودها، وهكذا فإن"أنا"من المبهمات لأن مرجعه معرف،حيثُ هو الفرد الذي ينطق في كل حدث تلفظي ب:" أنا".[4]

ومعانيها حين الكلام تختلطُ حين الإحالة، ذلك لأنها لا تعرف خارج الشروط المحددة في توظيفها لدى فرد ما معين، أوفي لحظة، وكان محدد رغم كونها مسجلة في اللغة(ومخزنة في المعاجم)،تبقى إحالتها تختلف باختلاف الظروف والتوظيف الخطابي.[5]

المطلب الثالث:مفهوم الإشاريات في الخطاب التداولي:

تعد الإشاريات من إحدى ظواهر التداولية ، في تناول الظاهرة اللغوية عند الإستعمال، ولا يتحدد المقصد من هذه الاشريات إلا بالسياق التداولي الذي سيقت فيه.

---

[1] أ.د، الحناش،محمد، الأساس المعرفي لنظومة الإبداع(مقاربة لسانية- تداولية)، في التواصل اللساني، المجلد العاشر ، العددان 1و2، 2001م ،ص89.

[2] الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،ط1، بيروت ، لبنان ،دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م ،ص80.

[3] د. المتوكل ،أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي،دط،الرباط ،المغرب، دار الأمان، د، ت، ص70.

[4] المرجع نفسه، ص72.

[5] jeandillon jen-Français L'Analyse textulle. Cursus Aumond Callin. Paris Frace 1997. p. 55 .

وهذا راجع للإبهام الذي في ذاتها، وللعلماء الباحثين في هذا المجال وجهة نظر تمثلت في أن دراسة اللغة سارت في اتجاهين بارزين هما:

-الاتجاه الشكلي الذي يتمثل في دراسة النحو والصرف عند العرب،والقوانين اللغوية غير المرنة عند الغربيين.

-والاتجاه التواصلي الذي يدرس اللغة من حيث ممارستها والتلفظ بها من خلال سياق يتطلبه المقام، أو حال المتكلم والمتلقي، وتمثل هذا الاتجاه في تحليل الخطاب التداولي.[1]

إذا فالتداولية فرع من فروع علم اللغة، يدرس مقصد المتكلم أثناء إنتاج فعل كلامي تواصلي في إطار سياق معين، يتضحُ من خلال التفاعل اللغوي المتعلق بالقصد من الباث إلى التأويل عند المتلقي، ومن هذا انفردت التداولية عن غيرها من العلوم والمناهج بأنها:

- تجمع بين الفعل اللغوي والسياق؛ بمعنى لا تفصل الفعل الكلامي عن شروطه الخارجية وهذا الجديد فيها.

- الاعتناء بالعناصر اللغوية وغير اللغوية التي ينجز فيها الفعل اللغوي؛ فهي تدرس اللغة باعتبارها وجودا مستعملا وموظفا من قبل بات موجها إلى متلقي، لفهم قصد معين.

ويتحقق المعنى عند المتلقي بعد تحليل أفعال الكلام ضمن سياقها الذي قيلت فيه (استحضار المقام) فيكشف عن القصد، فيحدث التأويل ومنه التداول بين المتكلمين، وهذا ما جاء في كتاب "صابر حباشة " في أن التداولية هي:"دراسة ارتباط القضايا بالنسبة إلى السياق"[2]، وعليه فالتداولية هي عملية إيصالية نفعية، تعتبر اللغة أداتها.[3]

واستنادا إلى التعريفات السابقة؛ فإنه أصبح بإمكاننا أن نؤيد كل من " ليتش" ومسعود صحراوي في أن التداولية ليست سلة مهملات تودع فيها اللسانيات ركام البيانات المستعصية على التصنيف العلمي بشكل

---

[1] وداد ، علي يوسف ،البعد الإشاري في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية الأبعاد في بعض الآيات القرآنية، مجلة كلية التربية أبو عيسى ، جامعة الزاوية العدد السادس،ص 391.

[2] الحباشة صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، ص148.

[3] الجيلاني ، دلاش ،مدخل إلى اللسانيات التداولية،ترتيب ، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1996م،ص01.

مناسب، ومنه نفند الرأي القائل بذلك، وعليه فلا يمكن فهم طبيعة اللغة نفسها فهما حقيقيا، ما لم نفهم التداولية كيف تستعمل اللغة في الاتصال.[1]

و نستنتج أن التداولية أيضا تدرس اللغة وفق الاستعمال، ضمن سياقها المحدد، وحتى يتحقق التفاهم لابد من وجود لغة مشتركة تحرك طرفا الحوار، فهي ليست علما لغويا محضا.

ينحصر اهتمام الباحثين فيه بالانشغال بالتراكيب اللغوية أو التركيز على الجوانب الدلالية فحسب؛ بل هي علم يهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات، والبحث في طبيعة العلاقة بين الأقوال الخطابية والأفعال الاجتماعية، ومن ثم التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيرا عن تواصل معرفي اجتماعي في سياق ثقافي، فهي علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال.[2]

وعلى هذا فهي ترمي باعتبارها فناً تهدف إلى دراسة الظواهر الراجعة إلى المكون التداولي، الذي يدرس مسارات تأويل الملفوظات في المقام، فهي ليست بنظرية خاصة بقدر ما هي تداخل تيارات عديدة ضمن سياق محدد، للوصول غالباً إلى مبدأ المسكوت عنه. [3]

المبحث الثاني :أهمية الإشاريات في الخطاب التداولي ووظائفها:

سنتناول في هذا المبحث أهمية الإشاريات في الخطاب التداولي في المطلب الأول ثم نتعرض لوظائفها في المطلب الثاني ، وهذا ما سنبينه على النحو الآتي:

المطلب الأول: أهمية الإشاريات في الخطاب التداولي :

تبرز قيمة الاشاريات من خلال اهتمام اللسانيين بها ،ومن خلال وظائفها، وارتباطها خصوصا مع مبحث السياق والإحالة في الدراسات اللسانية، ويعتبر أكبر دليل على أهميتها؛ هو اعتناء اللسانيين بها ؛وبدارستها وتداولها في مباحثهم ودراساتهم، إذ ثمة مجموعة من الدارسين الغربيين الذين اهتموا بالمعينات والقرائن الإشارية في ضوء مقاربات متنوعة نفسية، واجتماعية، وأنثروبولوجية، وبلاغية، وأسلوبية ،ولسانية،

[1] عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، ص36.

[2] سمية نيد، البعد التداولي في الخطاب القرآني، سورة مريم أنموذجا، كلية اللغات والآداب، جامعة غرداية ، 2014م، ص24.

[3] المرجع نفسه، ص24.

وسيميائية، وتداولية؛ منهم :إميل بنيفنست في كتابه قضايا اللسانيات العامة"، و"كاترين كيرتبرا" في كتابها ملفوظ الذاتية في اللغة، وكريماص في كتابه:"موباسان: سيموطيقا النص: تمارين تطبيقية" ...وغيرهم.[1]

ومن الدارسين العرب الذين اهتموا بالمعينات الإشارية،لابد من ذكر محمد مفتاح في كتابيه ":في سيمياء الشعر القديم "و "تحليل الخطاب الشعري"،وعبد المجيد نوسي في كتابه" التحليل السيميائي للخطاب الروائي" ،[2]"... وكما تبرز أهميتها من خلال وظائفها التي سنفردها في المطلب الآتي.

المطلب الثاني :وظائف الإشاريات في الخطاب التداولي:

لا تظهر أهمية دراسة الإشارات في الخطاب التداولي في الدراستات العربية إلا بارتباطها بعملية التلفظ والخطاب التي تعني الوقوف عند العناصر التي تعين المقصود من التلفظ مثل :المبهمات "Les dictiques " كعلامات ورموز تشير إلى المتخاطبين وتعينهم: "Les interlocuteurs"، وهما :المتكلم الذي يمثل طرفا في العملية التلفظية والكلامية.

أما المستمع فيمثل الطرف الثاني بفضل الخاصية التناظرية للخطاب والحوار ،وباكتمال الشروط واجتماعها وتوفرها أو الظروف التي تتحقق ضمنها العملية التلفظية؛ وتكتمل بموجب حصول تلك العناصر المستلزمة لها ؛ وهي الزمان والمكان، والسياق ؛وبالاستناد إلى بعض الآليات المنظمة للخطاب من افتراض مسبق،وأقوال مضمرة،واحتجاج،وتأويل،وشرح[3]....

وتعتبر الإشارات أو تصنف في صلب نظرية الخطاب والتداولية،وذلك أن الخطاب ضمن نظرية التلفظ أو أفعال الكلام؛ هو الملفوظ الواقع في بعده التفاعلي،وفي سلطة المتكلم الفعلية مع الآخرين وتفاعلهم وتجاوبهم معهم بأسلوب يكون مفهوما وواضحا،كما يدخل في مقام الحديث موضوع الخطاب،المخاطب ،المخاطَب، الزمان المكان، وانطلاقا من هذه العناصر الجديدة التي جاءت مع تحليل الخطاب ،ظهر مصطلح اشتهر وعرف بين اللسانيين بمصطلح:"بالتداولية"[4]

---

[1] ينظر: المرجع نفسه ،ص33.

[2] د.جميل حمداوي ، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، ص56.

[3] ينظر:حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،ص78.

[4] ينظر: مقال حمو الحاج ذهبية، التحليل الخطابي للتداول السياسي، مجلة الخطاب ، العدد1،ماي:2006م، جامعة تيزيوزو،ص236.

وكذلك أيضا فالإشاريات شرط في فهم الملفوظ وإدراك معانيه التي لا تتحقق إلا به ولا يتوصل إلى إدراكها إلا ببيان ذلك.[1]

وإعطائه معنى لأنها ترتبط بالمقام الذي سيق فيه الكلام أو السياق الذي نيط به معنى الخطاب من جهة المتكلم بالنسبة للسامع ،كما أنها تضمن من الناحية اللغوية لانسجام الخطاب وتناسقه وتكامل أطرافه ومقاصده التي قصد من أجلها.[2]

ومن وظائف الإشاريات التي تبين مكانتها العلمية في الدراسات اللسانية:

التمييز بين الأساليب والخطابات والأجناس الأدبية المعاصرة والقديمة منها، كالتمييز مثلا بين الخطاب الحواري والسردي، فالحواري يتميز بوجود المعينات الحضورية الشخصية بكثرة التي تبين صيغ الحوار،مثل : أنا،أنت،أنتم،ونحن...، واستعمال زمن الحاضر الدال على حضور شخصية المتكلم والمخاطب.

وتوظيف واستعمال الصيغ الانفعالية والتعجبية الدالة على الوجود الشخصي للمخاطب وحضوره في عملية التخاطب، وتنويع التعابير اللغوية المستعملة والموظفة: كالاستفهام، والتعجب، والتفجع، والاندهاش والحيرة والتفاءل، في حين يتميز الخطاب السردي أو الروائي بغياب هذه المعينات الشخصية التي تبرز وجود المخاطب، وتفرض وجوده الشخصي فيها ،مع استعمال الأفعال الماضية،وتوظيف ضمائر الغياب،مثل : هو،هي،هم،وهن، وافتقاره من الصيغ الاستفهامية والانفعالية والتعجبية والمظاهر الدالة على المشاعر والأحاسيس.[3]

المبحث الثالث: أنواع الإشاريات في الخطاب التداولي:

في هذا المبحث سنتناول أنواع الإشاريات المشهورة في الدراسات اللسانية، و لهذا سنتكلم عن الإشارية المكانية في المطلب الأول، ثم نتكلم عن الإشاريات الزمانية في المطلب الثاني، ثم نتناول الإشاريات الشخصية في المطلب الثالث،والإشاريات الاجتماعية في المطلب الرابع، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل والبيان على النحو الآتي:

---

[1] أ.ميلود نزار،نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية، مجلة علوم إنسانية، جامعة بسكرة، العدد :42،2009م،ص04.

[2] ينظر: ناصر الحباشة ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية،ط1،دمشق ، سوريا،دار صفحات للنشر والدراسات،2011م،ص115.

[3] ينظر: د.جميل حمداوي ، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، ص45.

المطلب الأول:الإشاريات المكانية:

هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو جهةً ووجهة.[1]

ويستحيل على الناطقيين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا وذاك، وهنا وهناك ونحوها إلا إذا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر:"physacalantext immediate"،الذي قيلت فيه، ومثل هذه التعبيرات أمثلة واضحة على أن أجزاء هذه اللغة لا يمكن أن تفهم إلا في إطار المعنى الذي يقصده المتكلم.[2]

فإذا قال شخص أحب أن أعمل هنا، فهل هو يعني في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أو في هذا المبنى ، أو في هذا الجزء من المدينة، أو في هذه الدولة أو في غير هذه جميعا، فكلمة هنا تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.[3]

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك، للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك هنا وهناك ، وهنا من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، وكذلك سائر ظروف المكان مثل:فوق ، تحت ، أمام ، وخلف ...كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم ووجهته واتجاهه، ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه.[4]

وفلاسفة اللغة يميلون إلى تمييز كلمات الإشارة إلى المكان عن ظروف المكان، واعتبارهما نوعين من أنواع الإشارة، وأما اللغويون فيميلون إلى دمجهما معا، وجعلهما صنفا واحدا يشار به إلى المكان.[5]

---

[1] نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21.

[2] المرجع نفسه ، ص21-22.

[3] المرجع نفسه، ص22.

[4] نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22.

[5] المرجع نفسه ،ص22.

وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام،انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتين رئيسيتين للإشارة إلى الأشياء هما :إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى،وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى أو معرفة موقع المتكلم في الخطاب بالضبط،تستلزم معرفة مكان المتكلم واتجاهه،لأن من ظروف المكان ما يستلزم فهم معناها معرفة اتجاه المتكلم فضلا عن مكانه ،مثل يمين، شمال، أمام، خلف، وغيرها .

من أمثلة ذلك ما جاء في الخطاب القرآني ما يأتي:

يقول الله تعالى:ﱡ سد سذ سه صد صذ صه ضج ﱠ ص:

وأن الإشارة بهنالك إلى مكان اعتباري، وهو ما هم فيه من الرفعة الدنيوية العرفية؛ وأن الانهزام مستعار لإضعاف شوكتهم، ويتضح من التفسيرين الظاهر والمؤول؛ أن الآية لا تتعدى أن تكون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وبشارة بأن دينه سيظهر عليهم.

وهنالك ظرف مكان يشاربه للبعيد، وقد يستعمل للزمان؛ وقيل بهما في هذه الآية وعند قوله تعالى: ﱡ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج ﱠ المائدة: ٢٤

لقد امتنع بنو إسرائيل عن دخول القرية بحجة أن فيها قوما جبارين، ثم أكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاورة أشد توكيد دل على شدته في العربية ثلاث مؤكدات هي:إن،ولن، وأبدا.

ولفظة :إنا هاهنا قاعدون الهاء هنا للتنبيه،هنا اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بالخبر قاعدون.

وعنصر الإشارة المكاني يكمن في لفظة" هاهنا" إشارة مكانية قريبة،على الموضع الذي كان فيه بنو إسرائيل مع نبيهم،والذي لن يبرحوه إصرارا منهم على مخالفته، والقيمة التداولية التي تحملها الإشارة المكانية في سياق الخطاب القرآني هي مدى جرأة بنو إسرائيل على نبيهم وإظهار العصيان.

فلفظة هاهنا تحيل على المكوث والانتظار حتى يخرج منها هؤلاء القوم بعد مقاتلة موسى وربه بزعمهم، ولكن مما يجدر ذكره أن بعض العناصر الإشارية الدالة على المكان قد تستخدم بحسب السياق للتعبير عن الجانب العاطفي لدى المتكلم، ونجد بعض الباحثين قد أطلقوا عليه مصطلح الإشارة الوجدانية.

ومن أمثلة ذلك أيضا:

ما ورد في الخطاب القرآني نحو قوله تعالى:ﱡ بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج ﱠ الفرقان: ٤١

في هذه الآية أذى خاص؛ وهو الأذى حين يرونه،وهذا صنف من الأذى تبعثهم إليه مشاهدة الرسول في غير زي الكبراء والمترفين لا يجر المطارف ولا يركب النجائب ولا يمشي مرحا، ولا ينظر خيلاء ويجالس

الصالحين ويعرض عن المشركين،وبرفق بالضعفاء ويواصل الفقراء،وأولئك يستخفون بالخلق الحسن؛لذلك لم يخل حاله عنده ممن الاستهزاء به إذا رأوه بأن حاله ليست حال من يختاره الله لرسالته دونهم،ولا هو أهلٌ لقيادتهم وسياستهم.

وهذا الكلام والاستفهام إنكار لأن يكون بعثه الله رسولا واسم الإشارة مستعملٌ في الاستصغار والمعنى إنكار أن يكون المشار إليه رسولا لأن في الإشارة إليه ما يكفي للقطع بانتفاء أنه رسول الله في زعمهم.[1]

ويقول جل شأنه : ﴿ٱلم لى لي مج مح مخمم مى مي نج نح ثيَّ البقرة: ٢٥٣

وفي هذا حجة على المشركين وعلى أهل الكتاب؛ الذين جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ أي هي قصة الرسل وأممهم، فضلنا بعض الرسل على بعض، فحسدت بعض الأمم أتباع بعض الرسل، فكذب اليهود عيسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وكذب النصارى محمدا صلى الله عليه وسلم.

وقرن اسم الإشارة بكاف البعد تنويهاً بمراتبهم كقوله تعالى:"ذلك الكتاب" كما هو ملاحظ أن أسماء الإشارة قد استعملت بحسب السياق للتوصل إلى التبليغ القصدي عن الغرض من استعمالها، وقد جاء الاستعمال معبرة عن العنصر الوجداني للمتكلم في العنصر الإشارى الدال على المكان البعيد.

إنما أريد به التعبير عن رفعة مكانتهم في الحديث عن الرسل،وقد جاء التلفظ بالعنصر الإشاري للمكان القريب للمتكلم لبيان قصدية الخطاب فقد استعمل القريب الغرض التصغير،بذلك نفهم معنى استخدام بعض الإشاريات الدالة على المكان إنما استخدمت للدلالة على مكانة المتحدث عنه وجدانيا فالمكان البعيد دلالة على رفعة الشأن وعلو المكانة،بينما القريب إنما هو للتحقير والتصغير.

المطلب الثاني: الإشاريات الزمانية:

الإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة:"center dectic"، الزمانية في الكلام فإذا لم نعرف زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية إلتبس الأمر على السامع أو القارئ.[2]

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج19 ص31.

[2] المرجع السابق ،ص19.

ومن الألفاظ المستخدمة في الخطاب للدلالة على الزمان: أمس، الآن، غدا، قبل، بعد،... وتسمى بألفاظ الإشارية الزمانية.

وتتميز هذه الإشاريات بكونها واصلات تحيلنا على معطى لغوي زمني خاص، وليس أي ترتيب زمني خارج عن سياق عن لساني أي كان.

وتظهر الإشاريات بصورتين:

فمن جهة من خلال ظروف زمان أو تراكيب تعبيرية(غدا، بعد عشرة أيام، شهر، أشهر...).

ومن جهة أخرى من خلال معلومات مدمجة من خلال السوابق واللواحق:"affixes"،في تصريف الأفعال،أي: زمن الأفعال الذي يظهر في أبعاد الحاضر والمستقبل.[1]

كما أن تعيين المكان يتم ببيان المقصود بالأماكن من خلال السياق الذي وردت فيه، ومن الألفاظ المكانية المبهمة هنا وهناك، وفوق وتحت وأمام، وذلك المكان ونحو ذلك.[2]

لأن المرجع في الزمان وبحسب الحامل الدلالي،يشير إما إلى الزمان الكوني الذي يشمل السنين و الأشهر والأيام، وإما يشير إلى الزمن النحوي الذي يتحدد معناه من الكلمة في حالتها التركيبية.

ومن أبرز هذه الأفعال:"كان" الذي لا يتضح إلا بالإشارة إليه بعينه بالقياس إلى زمان التكلم، ويحضر هذا العنصر الإشاري الزماني داخل الخطاب القرآني،فما كان يشير إلى الزمان الكوني، فقد جاء في قول الله عزوجل بقوله:ﱡ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٍّ ٌّ ﱠ البقرة: ١٩٧

وهذه الآية فيها وصية من الله بفرائض الحج وسننه، ومما يجب أن يراعى في أدائه، وقد أوصى الله بأداء أركانه وشعائره وشروطه، ووصف أشهره بالأشهر المعلومات،وهي معلومة عند العرب في ميقاتها وأزمانها مورثة من شريعة إبراهيم،ولفظة:" الحج أشهر" إشارة زمانية تدل على زمن العبادة وأنها مفروضة من الله بالوقت، فتشرع بحلوله، وحدد هذه الصيغة بقوله:" أشهر"، ليدرك المتلقي أنها الفترة الزمنية التي خصها الشرع بأداء فريضة الحج، والتي تكون فيها موسم هذه الشعيرة دون زيادة فيها أو نقصان أي:شهرين وعشرة أيام، والإشارة الزمنية حددت للسامع والمتلقي سبعين يوما هي أيام فاضلة.

[1]maingueneali -Dominique :l'énonciation en linguistique françaises.2 ،éditions .hachette. 1999-paris. 37p. france

[2] أحمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب،مرجع سابق، ص21.

ولفظة:" الحج أشهر معلومات" إشارة زمنية تدل على زمن العبادة أثناء الحج، وحددها بهذه الصيغة (أشهر معلومات) ليدرك المتلقي أنها الفترة التي يكون فيها موسم هذه الشعيرة دون زيادة أو نقصان،أي شهران وعشرة أيام (شوال، ذو القعدة،عشرة من ذي الحجة).

والإشارة الزمنية حددت للمتلقي سبعين يوما،ويمكن تفصيلها كالآتي:

الإشارة الزمانية للحج أشهر معلومات بشوال ذو القعدة عشرة من ذي الحجة ثلاثون يوما،وثلاثون يوما، وعشرة أيام سبعون يوما تقتضي إحراما فعليا، وإحراما قوليا، زواج، التكلم بغير ذكر الله، تجارة، الجدال والمخاصمة ، الصيد و الغضب وهكذا.

فإن الغرض التداولي من الإشارة الزمانية الواردة في سياق الآية؛ هو إلزام المتلقي إدراك الحيز الزماني الذي يؤدي فيه الحج،وما يجب الالتزام به في هذه المدة من أعمال فعلية وقولية.

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿ ئى ئي بر بز بم بى ﴾ البقرة: ٢٢٨

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء: فالعلامة الإشارية للفظة (ثلاثة قروء) أحالت في سياقها الكلامي على عدد ثلاثة أشهر من الزمان،وبالرجوع لسياق القول في الآية الكريمة، نجد الخطاب موجها للمطلقات ذوات القروء،وليس هذا بعام مخصوص في هذه بمتصل ولا بمنفصل،ولا مراد به الخصوص،بل هو عام في الجنس الموصوف بالصفة المقدرة التي هي من دلالة الاقتضاء، فالآية عامة في المطلقات ذوات القروء،وهي مخصصة بالحرائر دون الإماء،ولا علاقة لها بغيرهن من المطلقات،مثل المطلقات اللاتي لسن من ذوات القروء، وهن النساء اللاتي لم يبلغن سن المحيض،والآيسات من المحيض،والحوامل.

وقد بين حكمهن في سورة الطلاق، إلا أنها يخرج عن دلالتها المطلقات قبل البناء من ذوات القروء،فهن مخصوصات من هذا العموم فهي في ذلك عام مخصوص بمخصص منفصل.[1]

فالقصد التبليغي للعنصر الإشاري المتصل بالزمان في سياق الآية كالتالي: الإشارة الزمانية كانت في ثلاثة قروء،وأن انقضاء التربص للمطلقات يتم بانقضاء هذه المدة المحددة.

إذا فالمعاني الدلالية لهذا العنصر الإشاري تتقيد بعدد معين من الأشهر.

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 02ص388.

ومما ورد من العلامات اللغوية الخاصة بالعنصر الإشاري المتصل بالزمن النحوي للفعل"كان" والذي دل على أوقات زمانية مختلفة؛ فنجده يحمل دلالة الزمن المعتاد؛ والدلالة على العادة في الماضي.

في حين يأتي المضارع مسبوقا بكان يكون للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في زمن ماض وكان إلى جوار الفعل تؤلف مركبة ينجز المقصد الدلالي في الخطاب الكلامي،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مخ مم نج نح نخ نم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يز يم ينَّ فلفظ (كان) تدل على زمن مستمر غير منقطع، فنجد أن الزمن النحوي في سياق الآيتين، قد حمل دلالة الاستمرار والدوام، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء قديما، فالزمخشري يرى أن "كان" عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض على سبيل الإيهام، وليس فيه دليل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ.[1]

وفي موضع آخر يقول الله تعالى:﴿ تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا ﴾ البقرة: ١٠

حيث ورد خبر "كان" فعلا مضارعا أي: يدل على الاستمرار فدل على معاودة الفعل دون انقطاع، وقوله: بما كانوا يكذبون الباء للسببية،أي بسبب تكذيبهم الرسول وإخباره بأنهم رسل من الله؛ وأن القرآن وحي الله إلى الرسول،فمادة التفعيل للنسبة إلى الكذب مثل التعديل والتجريح.[2]

المطلب الثالث: الإشاريات الشخصية:

هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل: أنا أو المتكلم ومعه غيره، مثل: نحن.

والضمائر الدالة المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا كان أو مؤنثا، وضمائر الحاضر هي عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه.

وكما يعد النداء من ضمن مجموعة الإشاريات الشخصية ، لأنه ضمنيا موجه لخطاب ما، وغايته التنبيه أو توجيه المنادى أو استدعاؤه ، والنداء يكون مبهما ولا يتضح إلا بالمرجع الذي يشير إليه.[3]

وأما ضمائر الغائب فتدخل في الإشاريات إذا لم يعرف مرجعها من السياق اللغوي، وعندئذ يتكفل السياق التداولي بمعرفة إشارة هذه الضمائر إلى مرجعها.

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ج01ص400 .

[2] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير ،ج01ص278.

[3] نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19.

الإشاريات الشخصية هي بشكل عام الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب أو الغائب، كما تدخل في الإشارة إلى شخص:"person deixis" النداء:(vocative)، وتعد الأنا أو الذات المتلفظة محور التلفظ في الخطاب تداوليا.

كما أن ممارسة التلفظ هي ما يدل على المرسل في البنية العميقة مما يجعل حضور الأنا في كل خطاب، ولهذا لا ينطقها المرسل في كل حين ، إذ يعول على كفاءة المرسل إليه.[1]

وهي أيضا عاجزة بمفردها على تحديد إحالتها الحاصلة عند الاستعمال لذلك عدها:"ميلنر" فاقدة للاستقلالية الإحالية.[2]

فالضمير اسم غير متصرف يكنى به عن الغائب أو الحاضر، والحاضر نوعان: مخاطب ومتكلم.[3]

الضمير: الغائب: هو، هي، هما، هم ، هما ، هم، هن.

الحاضر: المخاطب: أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن.

المتكلم: أنا، نحن.

تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري، هو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام، ويشاركه فيه، وهو المستقبل.

وكل مجموعة منها تنقسم بدورها بحسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة.

وتتحكم في الإشاريات شروط السياقة ومطابقة الإحالة للواقع، لهذا نجد أن فلاسفة اللغة يضعون شرط الصدق،فلو قالت:امرأة أنا أم نابليون، فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير، هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلا، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة.[4]

ومن العناصر التي شكلت المحور التداولي نجد الضمائر التي تجسد الشخصيات المتحدثة، المتخاطبة (الحاضرة منها والغائبة)،وتحديدها يستدعي منا تحديد الدور الذي يؤديه المتخاطبون ،والمقام التواصلي الذي يتواجدون فيه.[5]

---

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص82.

[2] أن ريبول، جاك سوشار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين ،دار سينا ، تراث المركز الوطني للترجمة ،تونس،(ط2)، 2010، ص374 .

[3] أبو فارس الدحاح ، شرح ألفية ابن مالك ، مكتبة العكيبان ،الرياض ، ط2004،1م،ص34.

[4] نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق ص18.

[5] ينظر: مقال،حمو الحاج ، ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، مرجع سابق، ص243.

ويتبين لنا أن الضمائر أنواع هي: ضمائر الحضور وضمائر الغيبة.

الفرع الأول: ضمائر الحضور:وهي ثلاثة أنواع:

أولا:المتكلم:

ويسمى أيضا :ضمير الحاضر، لأنه يعين حضور المتكلم ووجوده سياقيا ومرجعيا، في أثناء عملية التلفظ والتواصل، وهو عنصر إشاري، لأن مرجعه يعتمد على السياق الذي يستعمل فيه.

ثانيا:المخاطب:

وهي الضمائر التي يستخدمها المتكلم عندما يتوجه بحديث ما إلى شخص يخاطبه،و للمخاطب علامات تحيل إليه ليبدو جليا في الخطاب.

ثالثا:أسماء الإشارة:

تعد أسماء الإشارة ثالث عنصر إشاري ضمن الإشاريات الشخصية،والتي تندرج تحت ضمائر الحضور وتتصل بالمقام مباشرة دون توسط عناصر إحالية أخرى، فأسماء الإشارة هي عناصر لغوية لا يمكن تحديد مرجعها إلا عند طريق إحالتها إلى عناصر خارجية ويتم تفسيرها انطلاقا من السياق الذي وردت فيه ،حيث ترد في كلام المتكلم عند الإشارة لشيء معين.

الفرع الثاني: ضمائر الغيبة: وهي أنواع كالآتي:

أولا: الغائب: وهي الضمائر التي يستخدمها المتكلم للحديث عن شخص غير موجود.

ثانيا: الأسماء الموصولة:

هي أسماء مبهمة لا تدل على ذات بعينها بل تدل على مطلق الغياب، وتحتاج في إرادة تعيين المقصود منها وإحداث الدلالة إلى إضافة أو وصف أو تمييز.

ويرى أحمد نحلة في هذا أن ضمائر الغائب تدخل في الإشاريات إذا لم يعرف مرجعها من السياق اللغوي، وعندئذ يتكفل السياق التداولي بمعرفة إشارة هذه الضمائر إلى مرجعها.

ضمائر الغائب هي:

هو: المفرد المذكر.

هي: المفرد المؤنث.

هما: المثنى المذكر.

هما: المثنى المؤنث.

هم: جمع المذكر.

هن: جمع المؤنث.

ومن الأمثلة على الإشاريات الشخصية في الخطاب القرآني الكريم قوله تعالى: ﴿ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ﴾ الأعراف: ١٥٨

وقوله تعالى في موضع آخر في سورة يونس: ﴿ تهثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ﴾ يونس: ١٠٤

فالإشارات الشخصية في الآيتين الكريمتين هي:

الضمير المستتر العائد على المتكلم (جل شأنه: (هو)،والضمير المستتر العائد على المخاطب قل (أنت) عائد على النبي عليه الصلاة والسلام، و(يا أيها) كونه نداء، والنداء من العناصر الإشارية الحاضرة، والتي تعتمد على مرجعية سياقية ، فهي للتنبيه واستحضار ذهن المخاطب.

وضمير المتكلم (ياء)، وأنا محمد (ضمير الحاضر) لتوكيد الخبر،ومن العناصر الإشارية في هاتين الآيتين ضمير الغائب (هو) الظاهر، وضمير الغائب هو المستتر،الضمير الظاهر المتصل الدال على الغائب (واو الجماعة) والمستتر في الفعل يؤمن (هو)،والمستتر(أنتم) الفعل لعلكم.

وكما نلاحظ أن الخطاب موجه من الله تعالى (المتكلم) للرسول صلى الله عليه وسلم المخاطب)، (وإلى المخاطبين) الجمع (الناس).

والمقصود من الكلام هنا هو أن في جملة المخاطبين منكرين ومترددين،استقصاء في إبلاغ الدعوة إليهم، وتأكيد ضمير المخاطبين بوصف (جميعا) الدال نصا على العموم،لرفع احتمال تخصيص رسالته بغير بني إسرائيل،وكان الخطاب لجميع البشر؛لأن كان فيهم من لا يؤمن بالله، وفيهم من يؤمن بالله ولا يؤمن بالنبي الأمي ،فقد جمع بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب واحد،ليكون هذا الطلب متوجها للفرق كلها،ليجمعوا في إيمانهم بين الإيمان بالله،وبالنبي عليه الصلاة والسلام، مع قضاء حق التأدب مع الله بجعل الإيمان به مقدما على طلب الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم للإشارة إلى أن الإيمان بالرسول إنما هو لأجل الإيمان بالله.[1]

أما في سورة يونس فنلاحظ العناصر الإشارية للحاضر والمخاطب،متناولة ومتميزة وهي كما يأتي:

[1] ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 09ص 139.

ضمير المتكلم (أنا) و المخاطب (أنت) في الفعل (قل)(ياأيها) عنصر إشاري؛ لتنبيه أذهان المخاطبين الجمع.

والعنصر الإشاري التاء للمخاطب الجمع (كنتم) وضمير المتكلم المستتر في فلا أعبد أي: (أنا) محمد لا أعبد ما تعبدونه من دون الله،والضمير المستتر في الفعل يتوفاكم (هو) عائدٌ على الغائب الحاضر جل شأنه والعنصر الإشاري (أنا) في الفعل أمرت،ولما كان مضمون هذه الجملة هو أصل دين الإسلام.

فخلاصته أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكني أعبد الله وحده، فيكون في معنى قوله تعالى:" قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون".[1]

المطلب الرابع:الإشاريات الإجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الإجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، فهي تشمل الملوفظات التي تشير إلى العلاقة الإجتماعية بين المتخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية:"formal" أو علاقة ألفة ومودة: "ntimacyi"، والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل لأصحاب المنزلة والمقام العالي في مخاطبة من هم أكبر منا مقاما؛ أو غير رسمية وتشمل التحيات[2]، وما يتصل بالجانب الحميمي؛ أو من المتكلم عموما كاستخدام:"vous" في اللغة الفرنسية للمفرد المخاطب تبجيلا له، أو مراعاة للمسافة الإجتماعية بينهما.[3]

وهي تشمل أيضا الألقاب مثل فخامة الرئيس، الإمام الأكبر،جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشيخ ، كما تشمل أيضا السيد ، والسيدة والآنسة.[4]

فالعنصر الإشاري المتصل بالعلاقة الإجتماعية يتوزع على تراكيب وألفاظ مختلفة، وذلك حسب مكانة المتخاطبين، وما هو رسمي منها و غير رسمي أثناء عملية التواصل .

والخطاب القرآني يشتمل على كليهما؛ وإن كان يغلب فيها الرسمي لوارد على صيغة المفرد المعظم لنفسه الدال على عظمة الخالق كقوله تعالى :إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

[1] ينظر: المصدر نفسه ،ج11ص300.

[2] صباح الخير ، مساء الخير ، صباح الفل والياسمين...

[3] نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق ص24- 25.

[4] د.مزيد بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، من أفعال الكلام إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص71.

فالدلالة اللغوية للصيغ إنا ونحن والنون من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد الذي له شركاء في الفعل، ويتكلم بها الواحد العظيم، الذي له صفات تقوم كل صفة منها مقام الصفة الأخرى، وله شركاء وأعوان تابعون له.

فالواحد الذي له شركاء في الفعل، هو لا ينجز الأفعال إلا بالاستعانة بغيره من فود و من هم تحت سلطته فإذا قال أمر لك بعطاء فقد علم له هو وأعوانه مثل كاتبه وحاجه وخادمه، أمروا به وقد يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وإرادته ونحو ذلك.

والغرض التداولي للصيغة الإشارية في الآيات هو إنشاء ثناء الله تعالى على أنبيائه وتحيته لهم.

فالتحية هنا لا تدخل ضمن النمط الرسمي المتداول بين عموم البشر، إنما تدخل ضمن ما هو رسمي بمقتضى منزلة النبوة التي توجب التبجيل والاحترام والطاعة.

ومن التراكيب الدالة على العلاقة الاجتماعية ذات الشكل غير الرسمي في الخطاب القرآني كقوله تعالى: ﴿ٱ **ئي** بر **بز بم** بن بى بي تر **تز تم** تن تى تي **ثر ثز**

واما بالنسبة ل" أنتم" الموظفة غالبا في مقام الإحترام والتقدير لا تشكل الجمع بين :"أنا وانت" و"أنتم ونحن " أشخاص مفخمة :"personne samplifices"،نحن: يعني ، أنا + آخرون ، أنتم يعني:نحن+ آخرون وغذا عنينا شخصا واحدا فليس جمعا لعدة وحدات ولكن تفخيما له"[1]

واما مسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب فهي مسألة نسبية.[2]

الإشاريات

[1] ذهبيه ، حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، مرجع سابق، ص103- 104.

[2] أرمينكو فرانيواز، المقاربة التداولية، ص42.

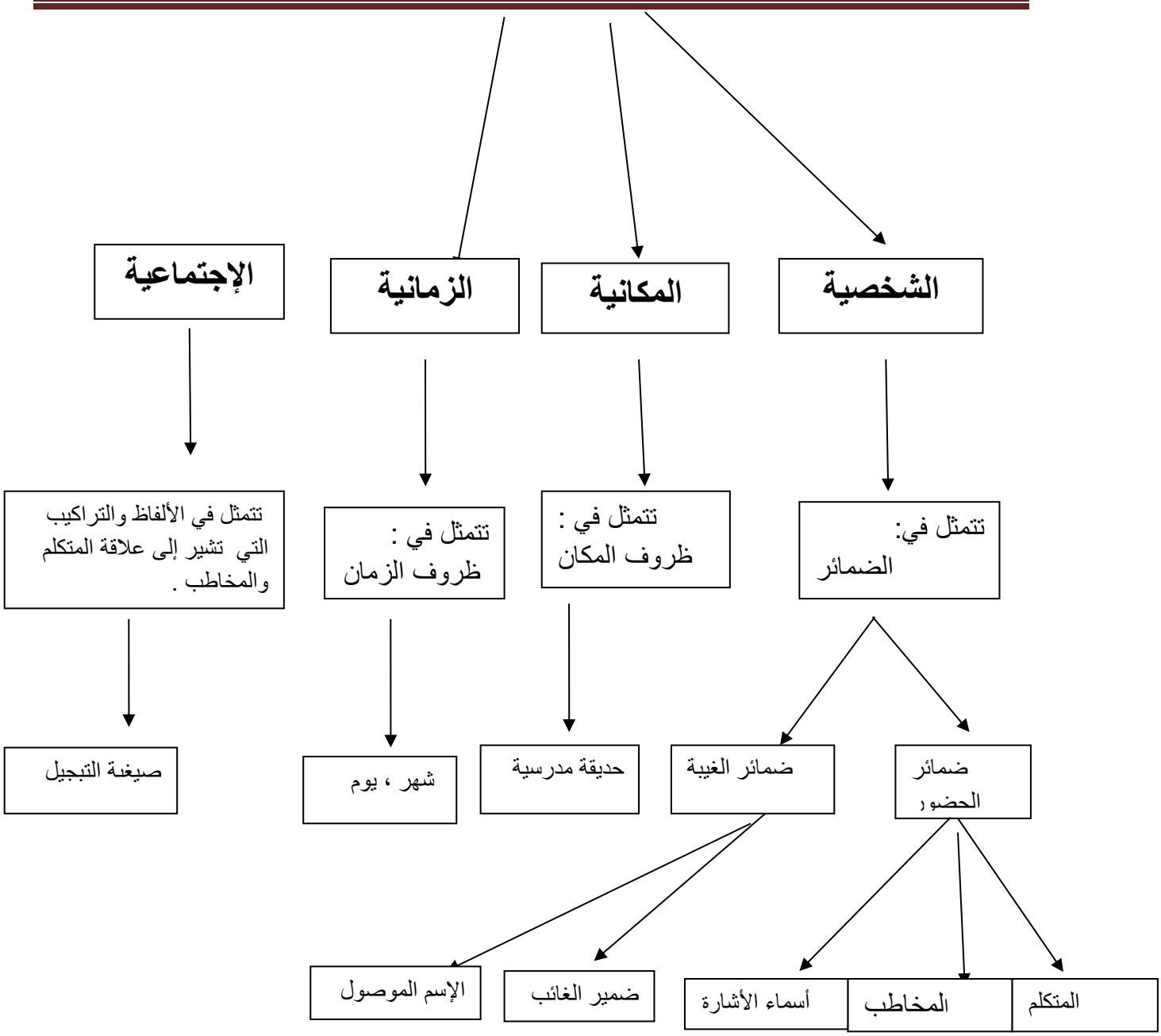
الشخصية
المكانية
الزمانية
الإجتماعية
تتمثل في:
الضمائر
تتمثل في :
ظروف المكان
تتمثل في :
ظروف الزمان
تتمثل في الألفاظ والتراكيب التي تشير إلى علاقة المتكلم والمخاطب .
ضمائر الحضور
ضمائر الغيبة
حديقة مدرسية
شهر ، يوم
صيغة التبجيل
المتكلم
المخاطب
أسماء الأشارة
ضمير الغائب
الإسم الموصول

الفصل الثاني: الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم:وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الضمير الغائب تعريفه ودلالته.

المبحث الثاني:الضمير الغائب العائد على الرسول في الربع الأخير من القرآن الكريم دلالته ومعانيه.

تمهيد :

إن الروابط في اللغة العربية كثيرة منها ما هو لفظي ظاهر، كأدوات العطف مثلا، ومنها ما هو معنوي كالإسناد،ومن بين هذه الروابط؛ ما يسميه النحاة:"الأسماء المبهمة"وهي الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات، التي اعتبرها القدامى تابعة للاسم، الذين حصروا أقسام الكلام في ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف.

وأما الدارسون المحدثون ؛فقد جلب انتباههم أن بعض الكلمات لا يمكن أن ينطبق عليها تعريف علماء اللغة العربية القدامى لهذه الأقسام، فجرت محاولات كثيرة لإعادة النظر في تصنيفها، فكان في ذلك أن قسمها بعضهم تقسيما رباعيا، ويجعل في هذا التقسيم أو من ضمنه الأسماء المبهمة، فيصنفها بذلك قسما رابعا. أطبق عليه بعضهم اسم الضمير، وبعضهم سماه باسم الكناية.

وسننظر في بحثنا هذا إلى قسم من أقسام الروابط اللغوية، وهو قسم الضمائر، فما هو تعريف الضمائر؟ وما هي أنواعه؟ وما هي دلالته ؟

وهذا ما سنرى تفصيله وبيانه في المباحث والمطالب الآتية:

المبحث الأول: الضمير الغائب تعريفه ودلالته:

سنتناول في هذا المبحث مفهوم الضمير الغائب لغة واصطلاحا في المطلب الأول، ثم نتعرض لدلالته ومعانيه، وأغراضه في المطلب الثاني، وهذا ما سنفصله على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الضمير الغائب لغة واصطلاحا:

الفرع الأول:تعريفه لغة:

جاء في القاموس المحيط:" أن مادة ضمر تدور حول الخفاء والضآلة... فالضمير بالضم وبضمتين: الهُزالُ، ولَحاقُ البَطْنِ، ضَمَرَ ضُمُوراً، كَنَصَر وكَرُمَ، واضْطَمَرَ، وجَمَلٌ ضامِرٌ كناقَةٍ.

والضميرُ:... العِنَبُ الذابِلُ، والسِّرُّ، داخِلُ الخاطِرِ ، واضْمَرَه: أخْفاه، وأضمرت الشيء أخفيته ، والموضعُ والمفعولُ: مُضْمَرٌ،الضُّمْرُ، ج: ضَمائرُ..."[1]

قال ابن فارس :"الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخِرُ يَدُلُّ عَلَى غَيْبَةٍ وَتَسَتُّرٍ."[2]

[1] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص429.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة،ج03ص371.

وسمي بذلك لأنه يضمر اسم المخاطب أو يضمر اسم المتكلم في حال التكلم، ويجعل هذه الكلمات كناية عما أضمره، مثل: يسحب الطاووس ذيله مزهوا. فالهاء في ذيله: ضمير يعود على الطاووس .

وتنقسم الضمائر إلى قسمين :

ضمائر الحضور وضمائر الغيبة،ومن ضمنهما تنقسم ضمائر الحضور إلى ثلاثة أقسام:ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، وأسماء الإشارة.

الفرع الثاني: تعريف الضمير اصطلاحا:

عرفه ابن الحاجب بقوله:"ما وضع لمتكلّم، أو مخاطب، أو غائب تقدّم ذكره لفظا أو معنى أو حكما."[1]

فالمضمر والضمير اسمان لما وضع لمتكلم كأنا، أو لمخاطب ك:أنت،أو لغائب ك:هو، أو لمخاطب تارة أو لغائب أخرى ، وهو الألف والواو والنون ، ك:قوما وقاما، وقوموا،وقاموا، وقمن.

ويسمية البصريون الضمير ، والكوفيون يقولون عنه الكناية أو المكنى عنه.

وقال محمد خير الحلواني في كتابه الواضح في النحو في بيان مفهوم المضمر أو الضمير: سميت هذه الكلمات بالضمائر لأن المتكلم يضمر الاسم الذي سبق ذكره.

الفرع الثالث: تقسيمات علماء اللغة لضمائر الغيبة:

وأما ضمائر الغيبة فهي قسمان:ضمائر الغائب والأسماء الموصولة.

ويقسم العلماء القدامى ضمير الحضور إلى:حضور تكلم وحضور خطاب،ويصبح الضمير بذلك هو :الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته.[2]

وتبعا لهذا المفهوم قسم ابن مالك الضمير باعتبار رسمه الإملائي إلى ظاهر و مضمر، وقسم الظاهر إلى متصل ومنفصل .[3]

وأما العلماء المعاصرون فقد نظروا إلى الحضور والغيبة باعتبارهما الأساس في الضمير، بشكل مختلف، ولفت انتباههم وجود عناصر أخرى مع الضمير مشتركة في بعض الأحوال الشخصية كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.وهذا ما جعلهم يعيدون النظر في التقسيم الجديد ويضعون تقسيمات جديدة.[4]

---

[1] ابن الحاجب، الكافية في علم النحو ، ص32.

[2] ابن مالك ، شرح التسهيل ، تحقيق: عبد الرحمان السيد ، مطبعة: مطابع سجل العرب، ط1، ج01ص130.

[3] ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1418ه، 1997م،ج01ص64_65.

[4] فمثلا: . فهذا "تمام حسان" يفرع الحضور في الضمائر إلى ثلاثة فروع، هي: حضور تكلم و حضور خطاب و حضور إشارة، و يفرع الغيبة إلى شخصية و موصولية، وهو يعتبر بذلك الضمائر بالمفهوم القديم فرعا واحدا من الضمائر، يسميها بضمائر الشخص، في

الفرع الرابع: أحوال الضمير:

تنقسم الضمائر في اللغة العربية إلى قسمين: بارز و مستتر:

أما الضمير البارز: فهو ما له صورة في اللفظ كتاء (قمت).

وأما المستتر، فهو بخلاف البارز كالمقدر في (قم).

وينقسم البارز إلى متصل و منفصل، وينقسم المستتر إلى مستتر وجوبا، ومستتر جوازا.

أما الضمائر المنفصلة فمنها ضمائر رفع وهي: اثنتا عشرة لفظة: "أنا، نحن، أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، هو، هي، هما، هم، هن.

أما ضمائر النصب فهي أيضا اثنتا عشرة، وهي: "إياي، إبانا، إياك، إياك، إناكمان إياكم، إياكن، إياه، إياها، إياهما، إياهم، إياي.

واتفق أهل اللغة على أن كل ضمير يحتاج إلى مرجع يبينه، فالضمير لا بد أن يعود إلى مرجع معلوم؛ لأنه معرفة لدلالته على مرجعه دلالة لا لبس فيها ولا تعمية.

قال سيبويه :"وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تصير اسما بعد ما تعلم أن من حدث قد عرف من تعني، وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه."[1]

مقابل فرعين آخرين يسميهما بضمائر الإشارة و ضمائر الموصولة و يشاركه في الرأي تلميذه "فاضل مصطفى الساقي" الذي تبنى معظم أفكاره و مبادئه .

و هناك من العلماء المعاصرين من يضيف تفريعات أخرى إلى التفريع الجديد، و هذا "عبد الوارث مبروك سعيد" يتعرض إلى تقسيم خماسي للضمائر أثناء تطرقه لمراحل إصلاح النحو العربي، المنسوب إلى "يعقوب عبد النبي"، حيث يرى هذا الأخير أن الضمير "خمسة أنواع: شخصي و اشاري و موصول و شرطي و استفهامي"".

و يحدد الضمائر الاستفهامية و الشرطية في ضميرين اثنين هما: "(من) للعاقل و (ما) لغير العاقلة، لكن هذا التفريع فيه نظر، فمن المعلوم أن "ما" و "من" من الموصولات، وسواء أ اعتبرناها ضمائر أم أسماء موصولة، فهي لا تستغني عن قاعدتها الأساسية، و التي يلخصها "الساقي" في حديثه عن تعدد المعنى الوظيفي لهذين الضميرين، فيقول في "ما": "تقوم (ما) مقام الأداة و تؤدي وظيفتها في السياق فتخرج عن كونها ضميرا موصولا لتقوم بوظيفة التعليق في الجملة الاستفهامية، وقد أطلق النحاة عليها في هذه الحالة (ما) الاستفهامية". و يضيف أيضا: "تقوم (ما) مقام أداة الشرط و تؤدي وظيفتها في السياق فتخرج عن كونها ضميرا موصولا لتقوم بوظيفة التعليق في الجمل الشرطية"، و الشيء نفسه يقوله عن "من" باعتبارها متشابهة مع "ما" في الوظيفة، إذا تعلق الأمر بالموصولية. إن التفريع الذي قدمه "يعقوب عبد النبي" إذن لم يراع ميزة تعدد المعنى الوظيفي:"ما" و"من"، باعتبارهما من المشترك، و هو الذي يقع تارة موصولا و تارة غير موصول".

لذلك لم يلق هذا التقسيم استحسانا كبيرا مثل الذي شهده التقسيمان السابقان. ومن الملاحظ تشابه هذا التقسيم بتقسيمات متأثرة باللغات الأجنبية، و هو قريب نوعا ما من التقسيم الرباعي الذي يقدمه هنري فليش، و الذي يجعل الضمائر: شخصية و إشارية و موصولية و استفهامية.

[1] سيبويه ، الكتاب، ج02ص06.

فإن كان الضمير المتكلم أو مخاطب فإن المرجع معلوم بقرينة المشاهدة، لكن ضمير الغائب لما انتفت عنه المشاهدة احتاج إلى مرجع يبينه.[1]

بمرجعه، ادعاء منهم أنه لا يشاركها في هذا الضمير أحد، ولا ينصرف الذهن إلى غيرها

المبحث الثاني:الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن دلالته ومعناه:

في هذا المبحث سنتناول دلالة الضمير الغائب في الربع الأخير من القرآن الكريم في المطلب الأول، ثم نتعرض في المطلب الثاني إلى معاني الضمير الغائب في الربع الأخير من القرآن الكريم، وهذا ما سنفصله على النحو الآتي في هذين المطلبين:

المطلب الأول:دلالة الضمير الغائب العائد على الرسول في الربع الأخير ومعناه:

إن تداول الضمير الغائب في القرآن الكريم له صور عديدة، وهذا التعدد لهذا النوع من الضمائر لا نجده في غيره من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أو في الشعر أو في كلام البشر، أو في نصوصهم المدونة والمحفوظة عنهم.

ولابد أن يكون من وراء هذا التعدد غرض بلاغي أرداه منزل القرآن سبحانه وتعالى ليكون معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

يأتي الضمير لدلائل و أغراض كثيرة ، لا يمكن الكشف عليها إلا من خلال السياق، والقرائن التي تحفه وتحيط به، على أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، وأهمها:

- الإحالة والربط، وتوجيه المعنى وإفهام المتلقي برجوعه إلى مرجعه.

- من أغراضه الظاهرة الإيجاز بصورتين:

أ- وأوله إيجاز في قلة حروفه، كما أشار إلى ذلك ابن يعيش فقال: "لما كانت المضمرات إنما جيء بها للإيجاز والاختصار، قلت حروفها "[2]

ب- وثانيه إيجازه فيما أحال إليه؛ فقد أصبح عوده إلى مرجعه بديلا عن تكرار اللفظ مرة أو أكثر من مرة؛ لأن التكرار يحدث لدى المتلقي مللا، فيفقد المتلقي المقصود من الكلام، فمجيء الضمير يسد مسد

[1] ذعار بن حميدان الحربي ، الضمير العائد على خلاف مقتضى الظاهر في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية،ص 21.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري ،ج02ص327.

المرجع وأبلغ من ذكره، إلا في أحوال تعرف ببلاغة إظهار المضمر [1]، ويقول ابن مالك في كون الضمير الإيجاز: "... سبب وضع الضمائر طلب الاختصار.[2]

ومن الأمثلة على مجيئة للاختصار ما ذكره الزركشي في قوله تعالى:

﴿ٱلعزيز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم﴾ الأحزاب: ٣٥

فقد جاء الضمير في قوله" لهم" به مقام خمس وعشرين كلمة.[3]

- والاحتراس ،كعود ياء المتكلم على الله بعد ضمير المعظم نفسه.

- التفسير، وكثيرا ما يأتي في مخالفة الضمير مرجعه في الظاهر، وقد يجتمع مع الاحتراس.

- التوكيد والحصر، كما في ضمير الفصل.

- لفت الانتباه بالتلوين بين الضمائر وأغراض أخرى تفهم من السياق .

- وقد يقدم الضمير فيكون مبهما؛ ليتمكن مفسرة في ذهن السامع، بعد انتظاره.

- الكشف عن مرجعه الذي يفسره الفعل، أو الذي لم يذكر الأغراض بلاغية، لأن المرجع قد يحذف ثقة بأن السامع سيعرفه، أو لعدم الحاجة لمعرفته، أو سترا على المتحدث عنه، أو احتقارا لمن الكلام في شأنه، وقد وردت أمثلة ذلك في البحث.

- لفت الانتباه بالتلوين بين الضمائر وأغراض أخرى تفهم من السياق.

- وقد يكون حضور المتحدث عنه في ذهن المتحدث والمتلقي مغنيا عن التصريح بالمرجع، لأنه موجود في الوجدان وإن خلا منه السياق، كضمير المحبوبة الذي بذكره الشعراء من غير تصريح.

ومن أجل هذا القصد النبيل أردنا دراسة جزء من القرآن، هذا البحر الذي لا تكدره الدلاء، وتخصيص جانب منه للدراسة الضمير،وهو الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم، ربع "يس"، من أجل بيان عظمة هذا الكلام المعجز البليغ، عن طريق دراسته وبيان معانيه.

---

[1] القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة ،ج02ص81-82.

[2] ابن مالك ، شرح التسهيل ،ج01ص131.

[3] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن،ج04ص24.

المطلب الثاني:معاني الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم:

لقد ورد الضمير الغائب في ربع يس بنسبة كبيرة، لكن دراستنا؛ والتي تتمثل في الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يكن هناك منه الشيء الكبير؛ وإنما ورد بنسبة قليلة.

وسنذكر في هذا المقام الآيات التي ورد فيها ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الجزء من القرآن،مع شيء من بيان الضمير الغائب فيها، وإعراب للآية، وتفسر لها وبيان لدلالتها اللغوية والبلاغية:

الفرع الأول:من سورة يس:قوله تعالى:﴿ٱعجعم غجغم فجفحفخ فمقحقم كجكحكخ كل﴾ يس: ٦٩

ورد في هذه الآية:ضميران: في قوله: "وما علمناه": و"له"، وهما يعودان على مفهوم من الكلام سابق أو سياق في الكلام، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

والضمير في قوله:وما ينبغي له، وفي قوله:"علمناه":ضمير الغائب، وهو عائد على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

و إعراب هذه الآية مع شيء من بيان معانيها بينه محي الدين الدرويش فقال:﴿ٱعجعم غجغم فجفحفخ﴾:كلام مستأنف مسوق للرد على من زعموا أن القرآن شعر[1].

وما نافية وعلمناه فعل ماض وفاعل ومفعول به والشعر مفعول به ثان وما عطف وينبغي فعل مضارع معطوف على علمناه؛ وله متعلقان ب ينبغي"[2]

وقال السمين الحلبي في تفسير وإعراب هذه الآية :

---

[1] ذكر هذه الفائدة أو التعليق محي الدين درويش في فوائده على تفسير الآية السابقة فقال: حاول بعض المنتصرين للنثر، الطاعنين على الشعر، أن يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور، وان النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقوله تعالى: وما علمناه الشعر وما ينبغي له» ويرى أنه قد أبلغ في الحجة، ولكن الواقع أن الله تعالى لما بعث رسوله أميا غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة، وحجة على الخلق، وإعجازا للمتعاطين، وجعله منثورا ليكون أظهر برهانا لفضله على الشعر الذي يترتب على صاحبه أن يكون قادرا على ما يحبه من الكلام، وتحدي جميع الناس من شاعر وغيره بمثل مثله فأعجزهم ذلك، فمن هنا قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له» أي لتقوم عليكم الحجة ويصح قبلكم الدليل، ويدحض أباطيلكم البرهان.." إعراب القرآن ،ج08ص 230.

[2] محي الدين درويش ، اعراب القرآن الكريم وبيانه ،دتح ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ ،ج03ص1024.

إِنْ هُوَ" أي: إنِ القرآن، دَلَّ عليه السِّياقُ أو إنِ العِلْمُ إلَاّ ذكرٌ، يَدُلُّ عليه:"وما عَلَّمْناه" والضمير في «له» للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم. وقيل: للقرآن.[1]

وقد جاء هذا الضمير في سياق توضيح وبيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم منزه عن افترائه على الله عزوجل، وأن ما يقوله من وحي ليس كلام بشر، ولا كلام كاهن ساحر ,إنما هو وحي مبين من رب العالمين على الرسول الأمين.

فكان خطابا إشاريا شخصيا دل على المقصود بأبلغ عبارة، وبين المقصود من الآية بدلالة الخطاب القرآني البليغ في أحلى صوره.

وأن الله برؤه عن ما يقوله الظالمون، وأنه دافع عن رسوله من فوق سبع سموات، فأبطل تهمتهم التي افتراها عنه المشركون،فقالوا أنه شاعر وكاهن،فحاءهم الجواب منه تعالى بقوله: وما علمناه الشعر وما ينبغي له.

وهذا الكلام مرسل من الله عز وجل، العلي الحكيم، موجه في أبلغ وجازة وأفحم رد؛ إلى المشركين المعاندين الجاحدين لكلام رب العالمين ، ومحتوى هذا الخطاب هو نفي التهمة عن الرسول الأمين، وأنه ليس بشاعر ولا كاهن ، وأنه لا يعلم الشعر ولا الكهانة ،لا كما وصفه به أعداؤه و ألصقوا به تهما باطلة لا أساس لها من الصحة.

تفسير الآية:

قوله تعالى:ﱡ عج عم غج غم فج فحفخ"أي:وما علمنا محمداً الشعر، ولا يصح ولا يليق به أن يكون شاعراً.

قال القرطبي:هذا ردٌّ على الكفار في قولهم إنه شاعر، وإن ما أتى به من قبيل الشعر، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليس بشاعر، والقرآن ليس بشعر، لأن الشعر كلام مزخرف موزون، مبني على خيالات وأوهام واهية، حتى قيل: أعذبه أكذبه ،فأين ذلك من القرآن العزيز الذي تنزَّه عن مماثلة كلام البشر!!

وقد أكثر الناسُ في ذم الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف ما قاله الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:الشعر كلامٌ، والكلام منه حسنٌ،ومنه قبيح .

ﱡفمقحقمكجكحكخكلأي:ما هذا الذي تلوه محمد إلا عظة وتذكيرٌ من الله نجل وعلا لعباده، وقرآن واضح ساطع لا يلتبس به الشعر بحالٍ من الأحوال"[2]

---

[1] السمين الحلبي ،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق ،دط ، دس ،ج09 ص284.

[2] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دتح ،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997 م ،ج03 ص20.

وللزمخشري رحمه الله في تفسير هذه الآية كلام جميل ننقله:" كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: شاعر، وروى أنّ القائل عقبة بن أبي معيط.

فقيل وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ أي: وما علمناه بتعليم القرآن الشعر، على معنى أن القرآن ليس بشعر؛ وما هو من الشعر في شيء.

وأين هو عن الشعر، و الشعر إنما هو كلام موزون مقفى، يدل على معنى، فأين الوزن؟ وأين التقفية؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه؟

فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت، اللهمّ إلا أنّ هذا لفظه عربى، كما أنّ ذاك كذلك وَما يَنْبَغِي لَهُ وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه، أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل، كما جعلناه أمّيا لا يتهدّى للخط ولا يحسنه، لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض.

وعن الخليل: كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام، ولكن كان لا يتأتى له..."[1]

وقد ذكر الإمام الطاهر ابن عاشور في بيان أوجه إعراب هذه الآية معاني جليلة؛ وأغراضا بلغية راقية تجلت في ثنايا هذه الآية، ونلخص من كلامه ما يأتي:"وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنَافًا ابْتِدَائِيًّا وَيَكُونُ الْوَاوُ لِلِاسْتِئْنَافِ، وَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ هُنَا عَلَى تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنْ أَنْ يَكُونَ شِعْرًا وَالنَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا دون التَّعَرُّض لتنزيهه عَنْ أَنْ يَكُونَ سَاحِرًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ مَجْنُونًا لِأَنَّ الْغَرَضَ الرَّدُّ عَلَى إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا قَصَدَ إِبْطَالَ مَقَالَاتٍ لَهُمْ فِي الْقُرْآنِ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.

وَضَمِيرُ عَلَّمْناهُ عَائِدٌ إِلَى مَعْلُومٍ مِنْ مَقَامِ الرَّدِّ وَلَيْسَ عَائِدًا إِلَى مَذْكُورٍ إِذْ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ مُعَادٌ.

وَبُنِيَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْكِنَايَةِ بِنَفْيِ تَعْلِيمِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشِّعْرَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِفَادَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ مُعَلَّمٌ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِشِعْرٍ وَأَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِشَاعِرٍ."[2]

الفرع الثاني:من سورة ص:قوله تعالى:ﱡ**ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ** ص: ٨

[1] تفسير الزمخشري ،دتح ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ ج04 ص26.

[2] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دتح ، الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: 1984هـ، دط ، ج23 ص56.

ورد الضمير الغائب في هذه الآية في قوله تعالى:"عليه"، ويعود على صفة في شخص هو منذر لقومه، وهذه الصفة لا تكون إلا في الأنبياء والمرسلين من الإنس والجن كما وصفه الله تعالى بقوله:أأ يى ذ ر ىّ ٍ ُ ِ ٰ ئر ئزئمَّ،فوصف الإنذار سمة غالبة على جميع الرسل المرسلة إلى أقوامها.

إعراب هذه الآية مع بيان مجمل لمعانيها :

أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا: الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل، والذكر نائب فاعل ،ومن بيننا حال، فهم أنكروا أن يتميز محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم.

وقد كرروا هذا المعنى كثيرا فقالوا:لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، قالوا ذلك ورددوه مرارا تنفيسا عن الغيظ الذي تجيش به نفوسهم والموجدة التي تعتلج في ضمائرهم.

ُّنى ني ىٰ ير **يز يم**ين **يى يي ئج ئحئخ**ّ: بل إضراب انتقالي عن مقدر فكأنه قال: إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه.

وهم مبتدأ وفي شك خبر ومن ذكري نعت لشك وبل إضراب انتقالي أيضا مسوق لبيان سبب الشك الذي ترسّب في ضمائرهم، وهو أنهم لما يذوقوا العذاب ولو أنهم ذاقوه وعانوا بلاءه وكابدوا هو انه لصدقوا ولما لجئوا الى مدافعة اليقين بالشك.[1]

وقد استشكل الطاهر ابن عاشور مرد قوله تعالى:"اانزل عليه الذكر من بيننا "

فقال:يجوز أَن يكون أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا مِنْ كَلَامِ عُمُومِ الْكَافِرِينَ الْمَحْكِيِّ بِقَوْلِهِ: وَقال الْكافِرُونَ هَذَا ساحِرٌ كَذَّابٌ ،فَيَكُونُ مُتَّصِلًا بِقَوْلِهِ: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً .

وَيَكُونُ قَوْلُهُ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بَيَانًا لجملة كَذَّابٌ ، لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ:هَذَا كَذَّابٌ إِذْ هُوَ خَبَرٌ ثَانٍ لِ (كَانَ)، وَلِكَوْنِهِ بَيَانًا لِلَّذِي قَبْلَهُ لَمْ يُعْطَفْ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ قَوْلِهِ: وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ ، إِلَى قَوْلِهِ: إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ، اعْتِرَاضًا بَيْنَ جُمْلَتَيِ الْبَيَانِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَمَامِ كَلَامِ الْمَلَأِ وَاسْتُغْنِيَ بِهِ عَنْ بَيَانِ جُمْلَةِ كَذَّابٌ لِأَنَّ نُطْقَ الْمَلَأِ بِهِ كَافٍ فِي قَوْلِ الْآخَرِينَ بِمُوجَبِهِ فَاسْتَغْنَوْا عَنْ بَيَانِ جُمْلَةِ كَذَّابٌ."[2]

تفسير الآية:

[1] محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج08 ص330.

[2] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23 ص213.

قوله تعالى:ﱡ ما مم نر نز نم ﱠ الاستفهام للإنكار أي هل تنزَّل القرآن على محمد دوننا، مع أن فينا من هو أكثر منه مالاً، وأعلى رياسةً؟

قال الزمخشري:" أنكروا أن يختص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم ،بَلْ هُمْ فِيَ شَكٍّ مِّن ذِكْرِي: إضرابٌ عن مقدر تقديره:إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه، فلذلك كفروا بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ: إضراب انتقالي وغرضه التهديد والمعنى سبب شكهم أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به..."[1]

وقد جاء الضمير في هذه الآية ليدل على أن المشركين وكفار قريش استنكروا نزول القرآن الكريم كلام رب العالمين على رجل ضعيف في قومه ، ويحرم من نزوله عليهم وجهاء قريش و أشرافها وأرفعهم نسبا فيها، وهذا دليل على حقدهم وحسدهم الدفين للنبي الأمين، وأنه أوتي شرف النبوة من بينهم ، ولكنهم أغبياء في هذا الحسد ، فهو شرف له وشرف لهم، ورفعة لهم في الدنيا قبل الآخرة إن آمنوا به واستقاموا على طريقته، كما قال تعالى:ﱡ تهثم جح جم حج حم خج خم الزخرف

ولكن هيهات هيهات فللشيطان جنود وأعوان على طمس نور الحق .

وهذا الخطاب هو من الله عز وجل على لسان أشراف قريش إلى الرسول صلى الله عليه المكرم من الله بنزول النور الإلهي عليه، ومحتوى هذا الخطاب أو هذه الرسالة هو الاستنكار لنزول القرآن على النبي العدنان محمد خير ولد إسماعيل، وحرمان أشراف قريش ووجهائها من هذا الشرف وهذه المنزلة العظيمة أنه خص بهذه المزية دونهم.

وقال ابن كثير رحمه الله في بيان دلالة هذا الاستفهام الإنكاري: أَأُنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ تَخْصِيصَهُ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ كُلِّهِمْ كَمَا قَالُوا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﱡ حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم كجﱠ.[2]

ومفاد إنكارهم كما قال الطاهر ابن عاشور هو : "وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ، وَمَنَاطُ الْإِنْكَارِ هُوَ الظَّرْفُ مِنْ بَيْنِنا وَهُوَ فِي مَوْضِعِ حَالٍ مِنْ ضَمِيرِ عَلَيْهِ، فَأَنْكَرُوا أَنْ يخص مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِرْسَالِ وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَحْكِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﱡ بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم

[1] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،ج03ص47.

[2] تفسير ابن كثير ،تحقيق :سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة:الثانية، 1420هـ-1999م،ج07ص55.

جد ّ الزخرف أَيْ: مِنْ مَكَّةَ أَوِ الطَّائِفِ وَلَمْ يُرِيدُوا بِهَذَا الْإِنْكَارِ تَجْوِيزَ أَصْلِ الرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ وَإِنَّمَا مُرَادُهُمُ اسْتِقْصَاءُ الِاسْتِبْعَادِ فَإِنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَصْلَ الرِّسَالَةِ كَمَا اقْتَضَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:ﱡ مح مخ مم مى مي نج هج ّ ق: ٢

وَغَيْرُهِ مِنَ الْآيَاتِ، وَهَذَا الْأَصْلُ الثَّانِي مِنْ أُصُولِ كُفْرِهِمُ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً وَهُوَ أَصْلُ إِنْكَارِ بَعْثَةِ رَسُولٍ مِنْهُمْ."[1]

وهذا فيه دليل على جهلهم وقلة عقولهم وسفاهتها فِي اسْتِبْعَادِهِمْ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ أَيْ: إِنَّمَا يَقُولُونَ هَذَا لِأَنَّهُمْ مَا ذَاقُوا إِلَى حِينِ قَوْلِهِمْ ذَلِكَ عَذَابَ اللَّهِ وَنِقْمَتَهُ سَيَعْلَمُونَ غِبَّ مَا قَالُوا، وَمَا كَذَّبُوا بِهِ يَوْمَ يُدَعّون إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّا.[2]

الفرع الثالث:ومن سورة الزخرف:قوله تعالى: ُّٱجح لح لخ لم لهمج محَّ الزخرف: ٨٨

ورد الضمير الغائب في هذه السورة في آخرها في موضع واحد، وهو قوله تعالى:"وقيله"، الضمير في قوله تعالى .

وقيله:ضمير متصل وهو غائب يعود على الضمير أنا في الآيات السابقة العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى:"قُلْ"يَا مُحَمَّدُ" إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ.

أَيْ: لَوْ فُرِضَ هذا لعبدته عَلَى ذَلِكَ لِأَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ،و هو تأويل على أحد الأقوال في المسألة، فهي خلافية بين علماء النحو والبلاغة .

تفسير الآية: جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية :وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ، أَيْ:وَقَالَ مُحَمَّدٌ قِيلُهُ، أَيْ: شَكَا إِلَى رَبِّهِ شَكْوَاهُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، فَقَالَ:يَا رَبِّ، إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ،وَهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَعَلَيْهِ فَسَّرَ ابْنُ جَرِيرٍ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ -يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ-: "وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ"[3]

وفي قوله تعالى:"وقيله" قراءات وأوجه ذكرها كل من السمين الحلبي، و نقلها ابن كثير عن ابن جرير وهي: قوله:"وَقِيلِهِ":قرأ حمزةُ وعاصمٌ بالجرّ،والباقون بالنصب.

فأمَّا الجرُّ فعلى وجهَيْن:

[1] ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 23 ص213-214.

[2] ينظر: المصدر السابق ، ج07ص55.

[3] تفسير ابن كثير ، ج 07ص244.

أحدهما:أنَّه عطفٌ على «الساعة» أي: عنده عِلْمُ قيلِه، أي: قولِ محمدٍ أو عيسى عليهما السلام. والثاني: أنَّ الواوَ للقَسم.

والجوابُ:إمَّا محذوفٌ تقديرُه:لتُنْصَرُنَّ أو لأَفْعَلَنَّ بهم ما أريد، وإمَّا مذكورٌ وهو قولُه:إِنَّ هؤلاء قَوْمٌ لَاّ يُؤْمِنُونَ، ذكره الزمخشريُّ.

وأمَّا قراءةُ النصبِ ففيها ثمانيةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّه منصوبٌ على محلِّ «الساعة».كأنَّه قيل:إنه يَعْلَمُ الساعةَ ويعْلَمُ قِيْله كذا.

الثاني: أنَّه معطوفٌ على "سِرَّهم ونجواهم" أي: لا نعلم سِرَّهم ونجواهم ولا نعلمُ قِيْلَه.

الثالث: عطفٌ على مفعولِ «يكتُبون» المحذوفِ أي: يكتبون ذلك ويكتبون قيلَه كذا أيضاً.

الرابع: أنَّه معطوفٌ على مفعولِ «يعلمون» المحذوفِ أي: يَعْلمون ذلك ويعلمون قيلَه.

الخامس: أنه مصدرٌ أي: قالَ قيلَه.

السادس: أَنْ ينتصِبَ بإضمارِ فعلٍ أي: اللَّهُ يعلمُ قيلَ رسولِه وهو محمدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم.

السابع: أَنْ ينتصِبَ على محلِّ «بالحق» أي: شَهِدَ بالحقِّ وبِقيْلِه.

الثامن: أَنْ ينتصِبَ على حَذْفِ حرفِ القسمِ.."[1]

وإعراب هذه الآية هو كالآتي:

الواو للقسم وقيله أي قوله مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم والجواب إما محذوف أي لأفعلنّ بهم ما أريد .

إما مذكور وهو قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب وقيل هو معطوف على الساعة، وفيه بعد وقرئ بالنصب قال الجلال السيوطي ونصبه على المصدر بفعله المقدّر، وقيل إن النصب بالعطف على سرهم ونجواهم .

وقيل إنه بالعطف على محل الساعة، كأنه قيل إنه يعلم الساعة وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده أو إن الخبر محذوف تقديره وقيله مسموع أو متقبل» وإن واسمها وخبرها وجملة لا يؤمنون صفة.[2]

وجاء الضمير في هذه الآية ليدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم شكا ربه من قومه المعاندين المشركين الذين كذبوا بالنور الذي أنزله الله و بالبينات القاطعة، وكذبوا دعوته صلى الله عليه وسلم، فكان في هذا يئسٌ من الرسول في إيمان قومه وتركهم لمعبوداتهم الباطلة .

[1] السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج09ص611-612.

[2] محي الدين درويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج09ص114.

وفي هذه الآية خطاب إشاري تداولي، كان المرسل فيه هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي شكا إلى الله عز وجل وهو المرسل إليه ، وأي مرسل وأي داع ، انه أعظم مدعو وأعظم من ترفع إليه الشكاوى وتقصد به الحوائج ،شكا إليه الرسول العبد الأمين يئسه وعجزه عن إيمان قومه ، كما قال صاحب تفسير صفوة التفاسير:وقول محمد في شكواه لربه يا ربِّ إن هؤلاء قوم معاندون جبارون لا يصدقون برسالتي ولا بالقرآن قال قتادة: هذا قول نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يشكو قومه إلى ربه عَزَّ وَجَلَّ"[1]،وأنهم كابروا وعاندوا، مع ما أنذرهم به الرسول من الآيات والبينات، ومع صبره صلى الله عليه وسلم على دعوته لهم. فقال صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون وأنه ختم على قلوبهم وطبع عليها فهم لا يفقهون.

فقال له الله عزوجل مجيبا له ومسليا له:ٱمح نج نح نخنم نه هجهم ٌّأي:فأعرض عنهم يا محمد وسامحهم ولا تقابلهم بمثل ما يقابلونك به قال الصاوي:وهو تباعدٌ وتبرؤٌ منهم، وليس في الآية مشروعية السلام على الكفار،وقال قتادة: أمر بالصفح عنهم ثم أُمر بقتالهم، فصار الصفح منسوخاً بالسيف.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ:أي فسوف يعلمون عاقبة إجرامهم وتكذيبهم،وهو وعدٌ وتهديد للمشركين، وتسلية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.[2]

فإشارية هذا الخطاب كانت قوية وبليغة في الدلالة على المقصود من معنى الآية ،وبينته بأوجز العبارات.

وذكر الطاهر ابن عاشور أن من الفوائد البلاغية لضمير الغائب في هذه الآية قوله: "...أَيْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَيُؤَيِّدُ هَذَا تَفْرِيعُ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ، فَفِي ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ الْتِفَاتٌ لِأَنَّ الْكَلَامَ كَانَ جَارِيًا عَلَى أُسْلُوبِ الْخِطَابِ مِنْ قَوْلِهِ:وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ،فَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ:وَقَوْلُكَ: يَا رَبِّ إِلَخْ.

وَيُحَسِّنُ هَذَا الِالْتِفَاتَ أَنَّهُ حِكَايَةٌ لِشَيْءٍ فِي نَفْسِ الرَّسُولِ فَجَعَلَ الرَّسُولَ بِمَنْزِلَةِ الْغَائِبِ لِإِظْهَارِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُهْمِلُ نِدَاءَهُ وَشَكْوَاهُ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: عَبَسَ وَتَوَلَّى.وَإِضَافَةُ الْقِيلِ إِلَى ضَمِيرِ الرَّسُولِ مُشْعِرَةٌ بِأَنَّهُ تَكَرَّرَ مِنْهُ وَعُرِفَ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، أَيْ عُرِفَ بِهَذَا..."[3]

الفرع الرابع :من سورة الدخان:قوله تعالى:ٱ بم بن بى بي تر تز تم ٌّ الدخان: ١٤

---

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج 03ص155.

[2] المصدر نفسه،ج03ص155.

[3] التحرير والتنوير، ج25ص272.

ورد في هذه الآية من سورة الدخان الضمير الغاب الدال على الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:"تولوا عنه "متصلا بحرف الجر: "عن"، وجاء الضمير في قوله تعالى: "عنه"، متصلاً ليعود على الرسول صلى الله عليه وسلم.

ودلالة هذا الضمير هي نسبتهم الرسول الكريم للجنون وعدم العقل، وأن معه قرينه من الجن يملي عليه أساطير الأوليين، وهذا فيه شبه بمقالاتهم السابقة، وأنه شاعر وكاهن ومجنون، وبه طب. وغيرها من الاتهامات الباطلة .

تفسير هذه الآية: قوله تعالى:ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞ:أي ثم أعرضوا عنه وبهتوه، ونسبوه إلى الجنون وحاشاه فهل يُتوقع من قومٍ هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير؟! قال الإمام الفخر: إن كفار مكة كان لهم في ظهور القرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قولان:منهم من يقول:إن محمداً يتعلم هذا الكلام من بعض الناس، ومنهم من كان قول: إنه مجنون والجنُّ تلقي عليه هذا الكلام حال تخبطه.[1]

وقد أجمل الطاهر ابن عاشور معنى هذه الآية فقال: أَنَّهُمْ وَصَفُوهُ مَرَّةً بِأَنَّهُ يُعَلِّمُهُ غَيْرُهُ، وَوَصَفُوهُ مَرَّةً بِالْجُنُونِ، تَنَقُّلًا فِي الْبُهْتَانِ، أَوْ وَصَفَهُ فَرِيقٌ بِهَذَا وَفَرِيقٌ بِذَلِكَ، فَالْقَوْلُ مُوَزَّعٌ بَيْنَ أَصْحَابِ ضَمِيرِ قالُوا أَوْ بَيْنَ أَوْقَاتِ الْقَائِلِينَ.وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَوْلًا وَاحِدًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لِأَنَّ الْمَجْنُونَ لَا يَكُونُ مُعَلَّمًا وَلَا يتأثر بالتعليم.[2]

وبين الزمخشري رحمه الله ما نسبه أعداء الله لرسوله فقال:" أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب ،وَقَدْ جاءَهُمْ ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادّكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات، فلم يذكروا وتولوا عنه، وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه، ونسبوه إلى الجنون."[3]

وإعراب هذه الآية:

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ: ثم حرف عطف وتولوا فعل وفاعل والعطف على محذوف أي فلم يذكروا ثم تولوا وعنه متعلقان بتولوا وقالوا عطف على تولوا ومعلم خبر لمبتدأ محذوف أي: هو معلم بفتح اللام المشددة اسم مفعول من علم أي يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في سورة النحل ومجنون خبر ثان.[4]

---

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج03ص160.

[2] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، ج25ص292 .

[3] الزمخشري ، الكشاف،ج04ص273.

[4] محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج09ص122.

ودلالة الضمير في قوله :"عنه" أن الضمير الغائب المتمثل في الهاء في قوله : "عنه" أتى مجرورا بعن التي سبقته، وهو متعلق بقوله تعالى:" تولوا" والجملة في محل نصب معطوفة على جملة الحال في الآية السابقة.

ودلالة هذا الضمير في الآية أنه يدل على أنهم أعرضوا عن الرسول الذي جاءهم مبينا، فتولوا عنه وأعرضوا عن بيانه، ورسالته وكذبوه، وهذا ما أكده في آخر الآية عندما قال :معلم مجنون على لسانهم وعلى بيان حال افترائهم، فهنا الهاء وهي الضمير الغائب دل على قصدهم للرسول وافتراءاتهم عليه ، واتهامه بأنه مجنون وأنه معلم وأنه ساحر، وإلى غيره من الأوصاف الدنية التي وصفت بها الرسل وأتباعها.

وفي نص هذه الآية خطاب إشاري تداولي، كان المرسل فيه والباث لهذه الرسالة هو الله عزوجل يحكي عن إعراض قوم الرسول صلى الله عليه وسلم، واتهامهم له بأنواع من التهم والافتراءات التي هو منها بريء، وهذا الخطاب موجهٌ إلى كل قوم أعرضوا عن رسالة رسولهم، فهو تنبيه بدلالة الإشارة في الخطاب إلى كل من قابل رسول الله أو رسالته بمثل هذا الإعراض، وبالخصوص قومه قريش، الذين باشروا هذا الافتراء وعايشوا به الرسول الكريم وقابلوه بشتى التهم الجائرة.

فهذه رسالة من الله محتواها وفحوى خطابها أن رسله عانوا في تبليغ هذه الدعوة المباركة، هذه الرسالة العظيمة التي لانت لها قلوب العالمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن كل من سار في هذا الطريق فسيناله مثل ما نال هؤلاء الرسل المبشرين والمنذرين.

فإشارية هذا الخطاب كانت قوية وبليغة في الدلالة على المقصود من معنى الآية،وبينته بأوجز العبارات.

الفرع الخامس:من سورة الأحقاف:

ذكر الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السورة في موضعين:

الموضع الأول:في قوله تعالى:ﱡ يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثزّ الأحقاف: ٨

والموضع الثاني:في قوله تعالى:ﱡ ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثمّ الأحقاف: ٣١

وجاء الضمير العائد على الرسول في قوله تعالى:"افتراه" في الهاء التي تعود على الحق والذي قصد به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو جاء به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وموضع الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الآية هو في قوله:"وآمنوا به "

ودلالة هذا الضمير في الآية الأولى أن الله أخبر عن قوم الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرارهم في تكذيب الوحي الذي جاء به، وتفنيد نسبتهم له بالكذب تارة وبالافتراء تارة أخرى وبالسحر والشعوذة و الكهانة، وغيرها مما نسبوه للرسول وما بذله صلى الله عليه وسلم في سبيل نشر هذا الوحي المبين .

ودلالة الضمير في الموضع الثاني أن فيه دعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه إلى الإيمان بداعي الله إجابته لما يحيي به القلوب والصدور، ورجاء منه صلى الله عليه وسلم لقومه أن يومنوا وتلطف بهم أن يستجيبوا، وأن إيمانهم سبب لمغفرة ذنوبهم، وفوزهم بجنات النعيم، وأن فيه إجارة لهم ونجاة من عذاب أليم توعد الله به كل كفار أثيم ، مناع للخير، وأن هذا فيه حرص منه على هداية قومه وإيمانهم وحبه لهم كل خير ، وكل طريق تنجيهم من غضب الله وسخطه عليهم .

تفسير الآية الأولى من الموضع الأول:

جاء في تفسر الصابوني رحمه الله للموضع الأول قوله:" أَمْ يَقُولُونَ افتراه" أي: أيقولون اختلق محمد هذا القرآن وافتراه من تلقاء نفسه؟

وهو إنكار توبيخي قُلْ إِنِ افتريته فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ الله شَيْئاً أي قل إن افتريتُه على سبيل الفرض فالله حسبي في ذلك،وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه، ولا تقتدرون أنتم على أن تردُّوا عني عذاب الله، فكيف أفتريه من أجلكم وأتعرض لعقابه؟

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ أي هو جل وعلا أعلمُ بما تخوضون في القرآن وتقدحون به من قولكم هو شعر، هو سحر، هو افتراء، وغير ذلك من وجوه الطعن"[1]

وقد شرح ابن كثير رحمه الله هذا المعنى في تفسيره فقال:"يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ: أَنَّهُمْ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ بَيِّنَاتٍ، أَيْ: فِي حَالِ بَيَانِهَا وَوُضُوحِهَا وَجَلَائِهَا.

يَقُولُونَ:هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ أَيْ: سِحْرٌ وَاضِحٌ، وَقَدْ كَذَبوا وَافْتَرَوْا وضَلّوا وَكَفَرُوا ،أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ: يَعْنُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، أَيْ: لَوْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ وَزَعَمْتُ أنه أرسلني –وليس كذلك–لعاقبني أشد لْعُقُوبَةِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، لَا أَنْتُمْ وَلَا غَيْرُكُمْ أَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ، كَقَوْلِهِ:قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلا بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ، وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، وَتَرْهِيبٌ شَدِيدٌ".[2]

[1] صفوة التفاسير، ج03 ص179-180.

[2] تفسير ابن كثير ، ج07 ص275 -276.

وقال الطاهر ابن عاشور مبينا لضلال قوم الرسول صلى الله عليه وسلم وتفننهم في تكذيب دعوته ورسالته:"إِضْرَابُ انْتِقَالٍ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنْ ضَلَالِ أَقْوَالِهِمْ....وَأَنَّ الْمَعْنَى:دَعْ قَوْلَهُمْ:هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ، وَاسْتَمِعْ لِمَا هُوَ أَعْجَبُ وَهُوَ قَوْلُهُمُ: افْتَرَاهُ، أَيِ افْتَرَى نِسْبَتَهُ إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ السِّحْرَ، وَالِاسْتِفْهَامُ الَّذِي يُقَدَّرُ بَعْدَ أَمْ لِلْإِنْكَارِ عَلَى مَقَالَتِهِمْ وَالنَّفْيُ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الِاسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِيُّ يَتَسَلَّطُ عَلَى سَبَبِ الْإِنْكَارِ، أَيْ كَوْنُ الْقُرْآنِ مُفْتَرًى وَلَيْسَ مُتَسَلِّطًا عَلَى نِسْبَةِ الْقَوْلِ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُ صَادِرٌ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا الْمَنْفِيُّ الِافْتِرَاءُ الْمَزْعُومُ.

وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي افْتَرَاهُ عَائِدٌ إِلَى الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ: قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ، أَوْ إِلَى الْقُرْآنِ لِعِلْمِهِ مِنَ الْمَقَامِ، أَيِ افْتَرَى الْقُرْآنَ فَزَعَمَ أَنَّهُ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

و قُلْ جُمْلَةً جَارِيَةً مَجْرَى جَوَابِ الْمُقَاوَلَةِ لِوُقُوعِهَا فِي مُقَابَلَةِ حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ.

وَالتَّقْدِيرُ:إِنِ افْتَرَيْتُهُ عَاقَبَنِي اللَّهُ مُعَاقَبَةً لَا تَمْلِكُونَ رَدَّهَا فَقَوْلُهُ :فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً دَلِيلٌ عَلَى الْجَوَابِ الْمُقَدَّرِ فِي الْكَلَامِ بِطَرِيقِ الِالْتِزَامِ،لِأَن معنى فَلا تَمْلِكُونَ لِي لَا تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِ ضُرِّ اللَّهِ عَنِّي، فَاقْتَضَى أَنَّ الْمَعْنَى: إِنِ افْتَرَيْتُهُ عَاقَبَنِي اللَّهُ وَلَا تَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ عِقَابِهِ.

...وإِسْنَادُ فَعْلِ الْمِلْكِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى الْمُخَاطِبِينَ، وَهُمْ أَعداء النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسُوا بِمَظِنَّةِ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ نَصَّبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي مَنْصِبِ الْحَكَمِ على النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَزَمُوا بِأَنَّهُ افْتَرَى الْقُرْآنَ فَحَالُهُمْ حَالُ مَنْ يزْعم أَن يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى طَرِيقَةِ التَّهَكُّمِ.[1]

وإعراب هذه الآية:

أم بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكاري أضرب عن ذكر تسميتهم إياه سحرا إلى ذكر قولهم أن محمدا افتراه ونسج أسلوبه من صنعه؛ وذلك أشدّ سماجة من قبله؛ وإن كانا ينبعان من مصدر واحد موغل في الضلالة والكفر.

وجملة افتراه مقول قولهم. وقل: فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت.

وإن شرطية وافتريته فعل وفاعل ومفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية.

وتملكون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله.

ولي جار ومجرور متعلقان بتملكون ومن الله حال لأنه كان في الأصل صفة وتقدم على موصوفة وشيئا مفعول به.[2]

[1] ينظر: التحرير والتنوير،ج26 ص14-15.

[2] محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج 09 ص170.

ففي هذه الآية نص إشاري تداولي،كان مرسل خطابه هو الله عزوجل يحكي عن قوم الرسول صلى الله عليه وسلم ،الذين قابلوا دعوته إلى الوحي الكريم بالتكذيب والافتراء ، فخطاب هذه الإشارية الشخصية هو موجه إلى قوم الرسول الذين عاندوا ما جاء به واتهموه بأن شاعر وكاذب مفتري، وأنه يقول الكهانة و يأتي بكلام المشعوذين أو يختلقه من عنده، ومضمون هذا الخطاب التنبيه لقوم سيعاندون أو لكل من سيعادي الرسول من الأمم اللاحقة؛ أو يتهم من حمل المشعل من دعاتها بالكذب والبهتان والافتراء في ما تدعو إليه من الحق المبين.

وكل الخير في الإتعاض بمن سبق وعدم سلوك سبيلهم في ما هلكوا به ,أن سنة الله ماضية في كل من عادى أوليائه بنفس الجزاء.

فإشارية هذا الخطاب كانت قوية وبليغة في الدلالة على المقصود من معنى الآية ، وبينته بأوجز العبارات.

تفسير الموضع الثاني من سورة الأحقاف:

جاء في تفسير الإمام الصابوني لهذه الآية:"يا قومنآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ الله وَآمِنُواْ بِهِ أي أجيبوا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيما يدعوكم إليه من الإيمان وصدِّقوا برسالته،يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ أي: يمحو الله عنكم الذنوب والآثام ،وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ أي: ويخلِصْكم وينجكم من عذاب شديد مؤلِمٍ."[1]

وقد بين ابن كثير رحمه الله دلالة هذه الآية وتفسيرها وبيان لمجمل فوائدها في تفسيره فقال:" يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ: فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ السُّورَةَ الَّتِي فِيهَا خِطَابُ الْفَرِيقَيْنِ، وَتَكْلِيفُهُمْ وَوَعْدُهُمْ وَوَعِيدُهُمْ، وَهِيَ سُورَةُ الرَّحْمَنِ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ.

وَقَوْلُهُ:يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ قِيلَ:إِنَّ "مِنْ" هَاهُنَا زَائِدَةٌ وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ زِيَادَتَهَا فِي الْإِثْبَاتِ قليل، وقيل:إنها على بابها للتبغيض، وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ أَيْ: وَيَقِيكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ."[2]

ودلالة الضمير في هذه الآية أن في الإيمان بالرسول الذي هو داعي الله في هذا الطريق الطويل إلى الحياة الآخرة نجاة ووقاية من عذاب الله. وأن التمسك بما جاء به من الوحي فيه مغفرة الذنوب و الإجارة من العذاب الأليم.

فهذا خطاب إشاري ،كان المرسل فيه هو الله عزوجل ومضمونه أن الإيمان بالرسول الذي هو داعي الله على هذه البسيطة ، والإستجابه له نجاة من نكال وعذاب يوم القيامة، وأن المرسل إليه بهذه الدعوة هما

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج03ص186-187.

[2] تفسير ابن كثير، ج07ص303.

الثقلين على وجه العموم ،كما استنبطه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية وتبعه على ذلك الزمخشري والطاهر ابن عاشور، في تفسيرهما، ونحن نقول أن الخطاب عام لكل قوم لم يؤمنوا بعد أو لقوم أمنوا ولكنهم أعرضوا أو تغافلوا عن العمل والقيام بفحوى هذه الرسالة المحمدية.

فإشارية هذا الخطاب كانت قوية وبليغة في الدلالة على المقصود من معنى الآية.

و إعراب هذه الآية :

يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ هو كالآتي:

يا:أداة نداء وقومنا: منادى مضاف وأجيبوا:فعل أمر وفاعل وداعي: الله مفعول به وآمنوا:عطف على أجيبوا،وبه:متعلقان بآمنوا ويغفر:فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ولكم:متعلقان بيغفر ومن ذنوبكم متعلقان بيغفر أيضا أي:بعضها فمن للتبعيض، ويجركم من عذاب أليم عطف على ما تقدم.[1]

وجاء الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم متعلقاً بما سبقه، مجرورا بالباء ليدل على إثبات الرسالة التي جاء بها الرسول،والتأكيد على اتباعها والإستجابة لها، واستعمل في ذلك أسلوب النداء للدلالة على التلطف في الدعوة إلى الإيمان بهذا الرسول و الانقياد لهذه الدعوة.

الفرع السادس:من سورة الفتح :

ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السورة في ثلاثة مواضع هي:

الموضع الأول:في قوله تعالى:﴿ لى لي ما مم نر نز نم نن ىٰ ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم﴾ الفتح: ١٢

الموضع الثاني:في قوله تعالى:﴿ كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ىٰ ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئحئخ ئم ئه بج بح بخ بم﴾ الفتح: ٢٦

الموضع الثالث:في قوله تعالى:﴿ لخ لم لىلي مج مح مخ مم مى مي نجنح نخ نم ىٰ ني هج هم هى هيجي يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ نر نز نم نن ىٰ ني بر بز بم بن بى بي تر تزتم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في﴾ الفتح: ٢٩

ففي هذه المواضع الثلاثة ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السورة، وسنفصلها موضعاً موضعاً بالتفسير وبيان دلالة الضمير والإعراب وغير ذلك، وهذا على النحو الآتي:

تفسير الموضع الأول من سورة الفتح:

[1] محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج 09ص192.

فسرها الشيخ محمد علي الصابوني بقوله:"ظنوا أن الله تعالى لن ينصر رسله والمؤمنين، وأن المشركين يستأصلونهم جميعاً كما قال تعالى:بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرسول والمؤمنون إلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً، قال القرطبي: ظنوا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يرجع إلى المدينة ولا أحدٌ من أصحابه حين خرج إلى الحديبية.[1]

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا أَيْ: لَمْ يَكُنْ تَخَلُّفُكُمْ تَخَلُّفَ مَعْذُورٍ وَلَا عَاصٍ، بَلْ تَخَلُّفَ نِفَاقٍ،بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا أَيْ: اعْتَقَدْتُمْ أَنَّهُمْ يُقْتَلُونَ وَتُسْتَأْصَلُ شَأْفَتُهُمْ وَتُسْتَبَادُ خَضْرَاؤُهُمْ، وَلَا يَرْجِعُ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ.[2]

وقد فسر الطاهر ابن عاشور هذه الآية تفسيرا جميلا شرح فيه المفردات ودلل فيه على المعاني؛ وبين الأحكام فقال :" بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً هَذِهِ الْجُمْلَةُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ جُمْلَةِ بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً ، أَيْ خَبِيرًا بِمَا عَلِمْتُمْ، وَمِنْهُ ظَنُّكُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ.

وَأُعِيدَ حَرْفُ الْإِبْطَالِ زِيَادَةً لِتَحْقِيقِ مَعْنَى الْبَدَلِيَّةِ كَمَا يُكَرَّرُ الْعَامِلُ فِي الْمُبْدَلِ مِنْهُ وَالِانْقِلَابُ: الرُّجُوعُ إِلَى الْمَأْوَى.

وأَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنْ (أَنَّ) الْمُشَدَّدَةِ وَاسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَسَدَّ الْمَصْدَرُ مَسَدَّ مَفْعُولَيْ ظَنَنْتُمْ، وَجِيءَ بِحَرْفِ لَنْ الْمُفِيدِ اسْتِمْرَارَ النَّفْيِ. وَأُكِّدَ بِقَوْلِهِ: أَبَداً لِأَنَّ ظَنَّهُمْ كَانَ قَوِيًّا.

وَالتَّزْيِينُ:التَّحْسِينُ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قَبُولِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ الظَّنُّ مُزَيَّنًا فِي اعْتِقَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْرِضُوا غَيْرَهُ مِنْ الِاحْتِمَالِ، وَهُوَ أَنْ يرجع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَالِمًا.

وَهَكَذَا شَأْنُ الْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالنُّفُوسِ الْهَاوِيَةِ أَنْ لَا تَأْخُذَ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي تَتَصَوَّرُ بِهَا الْحَوَادِثُ إِلَّا الصُّورَةَ الَّتِي تَلُوحُ لَهَا فِي بادئ الرَّأْيِ. وَإِنَّمَا تَلُوحُ لَهَا أَوَّلَ شَيْءٍ لِأَنَّهَا الصُّورَةُ الْمَحْبُوبَةُ ثُمَّ يَعْتَرِيهَا التَّزْيِينُ فِي الْعَقْلِ فَتَلْهُو عَنْ فَرْضِ غَيْرِهَا فَلَا تَسْتَعِدُّ لِحِدْثَانِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.

كَانُوا يَقُولُونَ بَيْنَ أَقْوَالِهِمْ: إِن مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةُ- بِفُتُحَاتٍ ثَلَاثٍ- رَأْسٍ- كِنَايَةً عَنِ الْقِلَّةِ، أَيْ يُشْبِعُهُمْ رَأْسُ بَعِيرٍ- لَا يَرْجِعُونَ، أَيْ هُمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِقُرَيْشٍ وَالْأَحَابِيشِ وَكِنَانَةَ، وَمَنْ فِي حِلْفِهِمْ.

وَ (ظَنَّ السَّوْءِ) أَعَمُّ مِنْ ظَنِّهِمْ أَنْ لَا يرجع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ، أَيْ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ بِالدِّينِ وَبِمَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُوقِنِينَ لِأَنَّهُمْ جَزَمُوا بِاسْتِئْصَالِ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَنْتَصِرُونَ ثُمَّ يَغْزُونَ

[1] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،ج03ص203.

[2] تفسير ابن كثير ، ج07ص337.

الْمَدِينَةَ بِمَنْ يَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ فَيُسْقَطُ فِي أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وَيَرْتَدُّونَ عَنِ الدِّينِ فَذَلِكَ ظَنُّ السَّوْءِ. وَالسَّوْءِ بِفَتْحِ السِّينِ تَقَدَّمَ آنِفًا فِي قَوْلِهِ: الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ..."[1]

فدلالة الضمير الغائب في هذه الآية يعود على الرسول وأصحابه المؤمنين الذين اتبعوه الله تعالى لن ينصر رسله والمؤمنين، وأن المشركين يستأصلونهم جميعاً، وأنهم لن يعودا إلى المدينة.

فدل الضمير على ثبات المؤمنين مع رسولهم وعودتهم إلى المدينة، كما دل الضمير على الترابط بين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ففي هذه الآية خطاب إشاري تداولي، كان مرسل الخطاب أو الرسالة هو الله عز وجل من وفق سبع سماواته، يخبر عن ظن السوء الذي ظنه المشركون- وأن محمدا وأصحابه لن يرجعوا إلى المدينة- وأنهم حسنوا وزينوا ذلك في عقولهم وقلوبهم وفرحوا به، ولكن قدرة الله عز وجل فوق قدرتهم وقته سبحانه وتعالى غالبة، فخاب ظنهم وبطل سعيهم ، ومضمون هذا الخطاب والرسالة موجه إلى كفار قريش الفئة المناوئة لحزب الله الذين أعرضوا وحاربوا واعترضوا سبيل هذه الدعوة المباركة، فأتهم الله من حيث لم يحتسبوا .

ففي هذه الآية عبرة ودعوة لكل معتبر، ودرس لكل من أراد من قريب أو بعيد محاربة هذه الدعوة أو التنقص منها والنيل من حملتها ودعاتها في كل زمان ومكان.

فإشارية هذا الخطاب كانت قوية وبليغة في الدلالة على المقصود من معنى الآية ،حيث بينته بأوجز عبارتها ، ودلت على أدق معانيها.

إعراب الآية:

أعرب محي الدين درويش هذه الآية فقال:" بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً" بل :حرف إضراب انتقالي أيضا، أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان الحامل لهم على التخلّف، وظننتم فعل وفاعل وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي ظننتم وأن مخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولن حرف نفي ونصب واستقبال وينقلب فعل مضارع منصوب بلن والرسول فاعل والمؤمنون عطف على الرسول وإلى أهليهم متعلقان بينقلب وأبدا ظرف متعلق بينقلب أيضا"[2]

تفسير الموضع الثاني من سورة الفتح: في قوله تعالى:**أُأكم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن** ني نى ير **يز يم** ين **يى يي ئج ئحئخ ئم ئه** بج بح بخ بم ّ الفتح: ٢٦

[1] التحرير والتنوير، ج 26 ص164-165.

[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج09ص239.

ورد الضمير الغائب في هذه الآية متصلاً في لفظة:" ألزمهم"، والمتمثل في"هم": الهاء وميم الجم العائدان على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والفاعل هو الله عز وجل، الذي ثبتهم وقواهم على أعداهم فنصرهم عليهم.

فالضمير الغائب في هذه الآية مفعول به يعود في معناه على الرسول وأصحابه.

ودل الضمير في هذه الآية على سكينة الرسول وأصحابه وطمأنينتهم وعدم خوفهم من عدوهم، وأن الله ثبتهم في غزوة أحد، ونصرهم على المشركين المعاندين اللذين ظنوا بهم ظن السوء، من هزيمتهم وتعويقهم عن العودة والإطاحة بهم وبمنزلتهم وشرفهم بين القبائل والعشائر، فرد الله كيدهم في نحورهم ونصر أوليائه وأنصار دينه .

وتفسير هذه الآية:

جاء في تفسير ابن كثير لنص هذه الآية : وَقَوْلُهُ: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَذَلِكَ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، وَأَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا: "هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"، فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَهِيَ قَوْلُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، كَمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ قَزَعَةَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ ثُوَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ الطُّفَيْلِ -يَعْنِي: ابْنَ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".[1]

وفسر الإمام الصابوني هذه الآية تفسيرا بين فيه معاني هذه الآية فقال: إِذْ جَعَلَ الذين كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الحمية أي: حين دخل إلى قلوب الكفار الأنفة والكبرياء بالباطل، فرفضوا أن يكتبوا في كتاب الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم» ورفضوا أن يكتبوا «محمد رسولُ الله» وقولهم: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ولكنْ اكتبْ اسمك واسم أبيك حَمِيَّةَ الجاهلية: أي آنفةً وغطرسةً وعصبيةً جاهلية فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وَعَلَى المؤمنين أي:جعل الطمأنينة والوقار في قلب الرسول والمؤمنين، ولم تلحقهم العصبية الجاهلية كما لحقت المشركين وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التقوى أي: اختار لهم كلمة التقوى إلزام تكريم وتشريف وهي كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هذا قول الجمهور.[2]

وَالْمُرَادُ بِالسَّكِينَةِ: الثَّبَاتُ وَالْأَنَاةُ، أَيْ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمُ التَّأَنِّيَ وَصَرَفَ عَنْهُمُ الْعَجَلَةَ، فَعَصَمَهُمْ مِنْ مُقَابَلَةِ الْحَمِيَّةِ بِالْغَضَبِ وَالِانْتِقَامِ فَقَابَلُوا الْحَمِيَّةَ بِالتَّعَقُّلِ وَالتَّثَبُّتِ فَكَانَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

[1] تفسير ابن كثير ، ج07 ص345.

[2] تفسير الصابوني،ج03 ص210.

والظاهر: أن المراد بكلمة التقوى هي إخلاصهم وطاعتهم لله ورسوله، وعدم شقّ ص الطاعة عندما كُتبت بنود الصلح، وكانت مجحفةً بحقوق المسلمين في الظاهر، فثبّت الله المؤمنين على طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكان في هذا الصلح كل الخير للمسلمين.

ويقول الطاهر ابن عاشور أن في هذه الآية من المعاني البلاغية و المعاني العظيمة الجليلة ما لفظه:" وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ النُّكَتِ الْمَعْنَوِيَّةِ مُقَابَلَةُ جَعَلَ ب: فَأَنْزَلَ فِي قَوْلِهِ: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ وَقَوْلِهِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ فَدَلَّ عَلَى شَرَفِ السَّكِينَةِ عَلَى الْحَمِيَّةِ لِأَنَّ الْإِنْزَالَ تَخْيِيلٌ لِلرِّفْعَةِ وَإِضَافَةُ الْحَمِيَّةِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِضَافَةُ السَّكِينَةِ إِلَى اسْمِ ذَاتِهِ.

وَعُطِفَ عَلَى إِنْزَالِ اللَّهِ سَكِينَتَهُ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى، أَيْ جَعَلَ كَلِمَةَ التَّقْوَى لَازِمَةً لَهُمْ لَا يُفَارِقُونَهَا، أَيْ قَرَنَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كَلِمَةِ التَّقْوَى لِيَكُونَ ذَلِكَ مُقَابِلَ قَوْلِهِ: وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَإِنَّهُ لَمَّا رَبَطَ صَدَّهُمُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِالظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ رَبْطًا يُفِيدُ التَّعْلِيلَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ آنِفًا رَبَطَ مُلَازَمَةَ الْمُسْلِمِينَ كَلِمَةَ التَّقْوَى بِإِنْزَالِ السَّكِينَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، لِيَكُونَ إِنْزَالُ السَّكِينَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَهُوَ أَمْرٌ بَاطِنِيٌّ، مُؤَثِّرًا فِيهِمْ عَمَلًا ظَاهِرِيًّا وَهُوَ مُلَازَمَتُهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى كَمَا كَانَتْ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ هِيَ الَّتِي دَفَعَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى صَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَضَمِيرُ النَّصْبِ فِي وَأَلْزَمَهُمْ عَائِدٌ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ عَوَّضَ اللَّهُ غَضَبَهُمْ بِالسَّكِينَةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ مُفَارِقًا السَّكِينَةَ مِنْ قَبْلُ.[1]

ففي هذه الآية خطاب تداولي إشاري ، أخبر فيه الله عن ماوقع من المشركين في صلح الحديبية حيث حملتهم العصبية الجاهلية والكبرياء والغطرسة على عدم كتابة لفظة:"بسم الله الرحمان الرحيم" و كلمة :"أن محمدا رسول الله "، وان المؤمنين قابلوا ذلك بالطمأنينة والسكينة والثَّبَاتُ وَالْأَنَاةُ، فجَعَلَ فِي قُلُوبِهِمُ التَّأَنِّيَ وَصَرَفَ عَنْهُمُ الْعَجَلَةَ، فَعَصَمَهُمْ مِنْ مُقَابَلَةِ الْحَمِيَّةِ بِالْغَضَبِ وَالِانْتِقَامِ فَقَابَلُوا الْحَمِيَّةَ بِالتَّعَقُّلِ وَالتَّثَبُّتِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ ومضمون هذا الخطاب من الله أن الطمأنينة والسكينة والثَّبَاتُ وَالْأَنَاةُ في معالجة الأمور سبيل محمود تحمد عواقبه، وأنه طريقٌ لفك النزاعات والخصومات، وأن في العجلة كل الندامة وفي التسرع كل الخسارة.

فهذه رسالة إلى كيفية التعامل مع من أساء المعاملة،وحل لعلاج كل خصام، وكل شقاق، وإلى كل معاملة بين طرفين متشاحنين ، وأن الأناة وعدم العجلة طريق محمود في علاج المعضلات والقضايا الكبرى في جميع المجالات، وأن هذا الباب لا يستعمل معه رد السيئة بالسيئة.

[1] التحرير والتنوير ،ج26 ص195.

فدلالة هذه الإشارية على المعنى دلالة في أبلغ عباراتها وأوجز معانيها، مما يبن لنا فصاحة الكلام العربي في محتواه ومضمونه العلمي.

إعراب هذه الآية:

ذكر صاحب كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: في إعراب هذه الآية قوله:"إِذْ جَعَلَ: العاملُ في الظرفِ: إما «لَعَذَّبْنا» أو «صَدُّوكم» أو اذكُرْ، فيكونُ مفعولاً به.

قوله: «في قلوبهم» يجوز أَنْ يتعلَّقَ ب جَعَلَ على أنها بمعنى أَلْقى فتتعدَّى لواحدٍ أي: إذ ألقى الكافرونَ في قلوبِهم الحميةَ، وأن يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنَّه مفعولٌ ثانٍ قُدِّمَ على أنها بمعنى صَيَّرَ.

قوله: «حَمِيَّةَ الجاهليةِ» بدلٌ مِنْ «الحميةَ» قبلها.والحميَّةُ: الأَنَفَةُ من الشيءِ."[1]

وأعربها محي الدين درويش في كتابه إعراب القرآن الكريم ، مع بيان لمعانيها من التفسير بقوله:

"إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ:إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بعذبنا أو بصدّوهم عن المسجد الحرام .

ولك أن تنصبه بإضمار اذكر وجملة جعل في محل جر بإضافة الظرف إليها والذين فاعل وجملة كفروا صلة. وفي قلوبهم متعلقان بجعل إذا كانت بمعنى ألقى أو بمحذوف مفعول به ثان لجعل إن كانت بمعنى صيّر والحمية مفعول به أول وحمية الجاهلية بدل والحمية الأنفة.

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى وَكانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها): الفاء عاطفة على مقدّر لا بدّ منه يفهم من السياق أي: فهمّ المسلمون أن يخالفوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ودخلوا من ذلك في أمر موبق أو يساور قلوبهم الشك فأنزل.

والله فاعله وسكينته مفعول به وعلى رسوله متعلقان بأنزل وعلى المؤمنين عطف على ما تقدم وألزمهم عطف أيضا والهاء مفعول أول وكلمة التقوى مفعول به ثان وسيأتي المراد بها في باب الفوائد وكانوا عطف على ما تقدم وأحقّ خبر كانوا وبها متعلقان بأحق وأهلها عطف على أحق عطف تفسير (وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) كان واسمها وبكل شيء متعلقان بعليما وعليما خبرها.[2]

من اللطائف البلاغية والمعانية المتعلقة بهذه الآية:

في هذه الآية لطائف تشمل المعنى ولها علاقة بالبلاغة، نذكر أهمها و هي:

[1] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،ج09ص718.

[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج09 ص250.

– أنه تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن، باين بين الفاعلين إذ فاعل جعل هو الكفار وفاعل أنزل هو الله تعالى، وبين المفعولين إذ تلك حمية وهذه سكينة.

–باين الله بين الإضافتين أضاف الحمية إلى الجاهلية وأضاف السكينة إلى الله تعالى، وبين الفعل جعل وأنزل فالحمية مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى والسكينة كالمحفوظة في خزانة الرحمة فأنزلها والحمية قبيحة مذمومة في نفسها وازدادت قبحا بالإضافة إلى الجاهلية والسكينة حسنة في نفسها وازدادت حسنا بإضافتها إلى الله تعالى؛ والعطف في فأنزل بالفاء لا بالواو يدل على المقابلة؛ تقول: أكرمني زيد فأكرمته فدلّت على المجازاة للمقابلة ولذلك جعل فأنزل.[1]

– ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أجاب أولا إلى الصلح؛ وكان المؤمنون عازمين على القتال لا يرجعوا إلى أهلهم إلا بعد فتح مكة أو النحر في المنحر؛ وأبوا إلا أن يكتبوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وباسم الله قال تعالى«على رسوله».

–ولما سكن هو صلى الله عليه وسلم للصلح سكن المؤمنون فقال:«وعلى المؤمنين» ولما كان المؤمنون عند الله تعالى ألزموا تلك الكلمة قال تعالى«إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .[2]

تفسير الموضع الثالث من هذه السورة:في قوله تعالى:ﭐﱡ لخ لم لى لي **مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ** نم نى **ني هج هم هى هي يج يح يخ** يم يى **يي ذٰ رٰ ىٰ** ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ **ئر ئز ئم ئن ئى ئي** بر **بز بم** بن بى بي تر **تز تم** تن تى تي **ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في** ﱠ الفتح: ٢٩

ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الآية في عدة مواضع أذكرها مع شيء من بيان معناها وإعرابها:

قوله :"محمد رسول الله والذين معه"، فالضمير الإشاري هنا عائد على الرسول،دل عليه الكلام أو السياق السابق الذي هو مبدأ الدلالة على المقصود من الخطاب.

ومعه:ظرف منصوب متعلق بمحذوف صلة تعود على معنى الموصول. اتصل به الضمير الذي يفيد الإشارية الشخصية في هذا الخطاب القرآني .

والهاء:ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه. ودلت الهاء على الرسول والصحابة الذين كانوا معه.

[1] المرجع نفسه ،ج 09ص251.

[2] ينظر: المرجع السابق،ج09 ص251.

وموضع آخر وهو قوله تعالى:"بينهم":وهو ظرف منصوب متعلقٌ برحماء والهاء:ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.[1]

وهنا أيضا جاء الضمير الإشاري؛ المتصل عائدا على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين الذين معه.

وموضع آخر في قوله تعالى:"تراهم ركعا سجدا":ويعود الضمير الإشاري هنا على الرسول وأصحابه الغر الميامين،العابدين الخاشعين،المتذللين لرب العالمين، ومن أكبر ذلك كثرة ركوعهم وسجودهم لربهم وخضوعهم في صلاتهم.

وموضع آخر في قوله:يبتغون:فعل مضارع احتوى على الضمير الغائب في مقام الفاعل العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الطاهرين العابدين، ولازال الله من فوق سبع سماوات يصف تقواهم وعبادهم وخضوعهم، ويكشف عن مكنون صدورهم وأنهم يبتغون بذلك كله فضلا من ربهم ورضوانا عظيما ؛ وهو الفور بجناته ، والرؤية لوجه الكريم .

ومن المواضع كذلك التي دلت على الصحابة مع رسولهم في الآية : قوله :"سيماهم": وهو اسم من سما يسمو، سموا ،ومعناه : العلامة ، كما جاء في قوله تعالى في سورة الأنفال واصفا الملائكة الذين شاركوا في غزوة بدر بقوله :"مسومين" أي : معلمين بعلامات خضراء أو صفراء.

ومعناه: أنك تعرف علامتهم في وجوهم من نور العبادة وأثرها في وجوههم.

ومن أثر السجود: حال من الضمير الجار.

ومن المواضع كذلك قوله:"ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل": وبيانه :إن شئت عطفته على المثل الأول ، أي: هذه صفاتهم في الكتابين التوراة والإنجيل[2]، فعلى هذا يكون الكاف في محل رفع : أي:هم كزرع أو في موضع نصب على الحال: أي: مماثلين ، أو نعتا لمصدر محذوف تقديره : تمثيلا كزرع .[3]

ودلت الهاء على الرسول والصحابة الذين كانوا معه.

---

[1] عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن،ص448.

[2] وقد بين الطاهر ابن عاشور معنى هذا المثل فقال: وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ فَيَكُونُ مُشِيرًا إِلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي «إِنْجِيلِ مَتَّى» الْإِصْحَاحِ 13 فِقْرَةِ 3 «هُوَ ذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ يَعْنِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ» إِلَى أَنْ قَالَ «وَسَقَطَ الْآخَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرُهُ بَعْضَ مِائَةٍ وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلَاثِينَ» . قَالَ فِقْرَةً، ثُمَّ قَالَ:«وَأَمَا الْمَزْرُوعُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ فَيَصْنَعُ بَعْضٌ مِائَةً وَبَعْضٌ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلَاثِينَ». ينظر: التحرير والتنوير، ج26ص208.

[3] عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن،ص448.

و قد ذكر السمين الحلبي تأويل الوجهين والمعنيين ، وزاد وجها ثالثا، فقال:" أنه معطوفٌ على مَثَلُهم الأولِ، فيكونُ مَثَلاً واحداً في الكتابَيْن، ويُوْقَفُ حينئذٍ على الإنجيل وإليه نحا مجاهدٌ والفراء، ويكون قولُه على هذا: كزَرْع فيه أوجهٌ:

أحدها: أنه خبرُ مبتدأ مضمرٍ أي: مَثَلُهم كزَرْعٍ، فَسَّر بها المثل المذكور.

الثاني: أنه حالٌ من الضمير في مَثَلُهم، أي: مُماثِلين زَرْعاً هذه صفتُه.

الثالث: أنها نعتُ مصدرٍ محذوفٍ أي: تمثيلاً كزرع، ذكره أبو البقاء. وليس بذاك، وقال الزمخشريُّ: ويجوزُ أَنْ يكونَ «ذلك» إشارةً مُبْهَمَةً أُوْضِحَتْ بقولِه:«كَزَرْعٍ» كقوله: وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمر أَنَّ دَابِرَ.[1]

ودلالة الضمير في هذه الألفاظ من الآيات:

أنه يدل على التلاحم والتراحم والتعاطف والتكاتف في ما بينهم، وأنهم كالجسد الواحد في تكامله وتوازنه وترابطه، فكل منهم يشد عضد أخيه ويقويه ويآزره، وهذه هي مظاهر وعلامات الأخوة والمحبة في الله، التي ينبغي أن يكون عليها المسلمين في زماننا؛ وأن نطبقها ونبرزها في واقعنا الذي غابت فيه صفات المؤمنين، وانحلت فيه مظاهر العلمانيين والكافرين المحايدين لشريعة رب العالمين .

وقد وصف الله جانبا من عبادتهم وتقواهم لربهم وذكر خشوعهم وتبتلهم لربهم؛ وأنهم يبتغون بذلك رضوانه وفضله العظيم.

وأنهم تخرجوا من المدرسة المحمدية؛ التي كان شعار علمها العلم والعمل والامتثال والخضوع لرب العالمين و رسوله الأمين.

وتفسير هذه الآية :

جاء في تفسير الإمام الصابوني لهذه الآيات قوله :"ثم أثنى تعالى على أصحاب رسول الله بالثناء العاطر، وشهد لرسوله بصدق الرسالة فقال مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله أي هذا الرسول المسمَّى محمداً هو رسولُ الله حقاً لا كما يقول المشركون والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ أي: وأصحابه الأبرار الأخيار غلاظٌ على الكفار متراحمون فيما بينهم كقوله تعالى:أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين .

قال أبو السعود: أي يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة، ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة قال المفسرون: وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم،وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً.

وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمسَّ أبدانهم، وكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه تَرَاهُمْ رُّكَّعاً سُجَّداً أي تراهم أيها السامع راكعين ساجدين من كثرة

[1] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،ج09 ص722.

صلاتهم وعبادتهم، رهبانٌ بالليل أسودٌ بالنهار؛ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً أي: يطلبون بعبادتهم رحمة الله ورضوانه.

قال ابن كثير:وصفهم بكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ والاحتساب عنده بجزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله ورضاه سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السجود أي علامتهم وسمتُهم كائنة في جباههم من كثرة السجود والصلاة.

قال القرطبي: لاحت في وجوههم علامات التهجد بالليل وأمارات السهر، قال ابن جريج: هو الوقار والبهاء، وقال مجاهد: هو الخشوع والتواضع، قال منصور سألت مجاهداً عن قوله تعالى سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ: أهو أثرٌ يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو أقسى قلباً من الحجارة، ولكنه نورٌ في وجوههم من الخشوع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التوراة أي ذلك وصفهم في التوراة: الشدة على الكفار، والرحمة بالمؤمنين، وكثرة الصلاة والسجود وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ أي ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج فراخه وفروعه"[1]

وقال ابن كثير في بيان صفات عباداتهم:"وَقَوْلُهُ: تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا : وَصَفَهُمْ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ، وَهِيَ خَيْرُ الْأَعْمَالِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْإِخْلَاصِ فِيهَا لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَالِاحْتِسَابِ عِنْدَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ، وَهُوَ الْجَنَّةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ، وَهُوَ سَعَةُ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ، وَرِضَاهُ، تَعَالَى، عَنْهُمْ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَوَّلِ، كَمَا قَالَ:وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ .

وَقَوْلُهُ: سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ يَعْنِي: السَّمْتَ الْحَسَنَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي: الْخُشُوعَ وَالتَّوَاضُعَ.[2]

وَهَذَا يَتَضَمَّنُ نَمَاءَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ وَبِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الدِّينِ حَتَّى يَكْثُرَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا تُنْبِتُ الْحَبَّةُ مِائَةَ سُنْبُلَةٍ وَكَمَا تَنْبُتُ مِنَ النَّوَاةِ الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ.

ففي هذه الآية بعد إشاري تداولي،وهو خطاب رباني يصفُ فيه الله عزوجل رسوله وأصحابه الذين اصطفاهم لصحبته، حيث استعمل فيه الضمير الغائب العائد على الرسول ليبين الصفات التي جعلتهم ينالون شرف الصحبة، وأنهم كانوا أشداء على الكفار في مواطن الشدة كالحروب، والغيرة على الدين والوقوف إلى جانب نبيهم في نصرة دين الله، وأنهم رحماء في ما بينهم، فيشد بعضهم بعضا، وذكر عبادتهم لربهم وخضوعهم له، وقصدهم في ذلك كله ابتغاء فضل الله ورضوانه.

[1] صفوة التفاسير ، ج03 ص212.

[2] تفسير ابن كثير ،ج07 ص361.

فمفاد هذا الخطاب أن التآلف والتآزر من أكثر الروابط الاجتماعية، وأن نصرة الله مع الجماعة المتكاملة والمترابطة.

فهذا خطاب من رب السماوات إلى البشرية جمعاء محتواه الحث على العلاقات الاجتماعية والروابط الأخوية في المعاملة والسلوك، وأن الوحدة الاجتماعية أساس النصر والتمكين للبشرية.

فدلالة هذه الإشارية على المعنى دلالة في أبلغ عباراتها وأوجز معانيها، مما يبن لنا فصاحة الكلام العربي في محتواه ومضمونه العلمي.

إعراب الآية:

ذكر صاحب كتاب الدر المصون في إعراب هذه الآية كلاما جميلا نقف عنده كي نلمح مجموعة من الفوائد؛ وهو ما قال بلفظ:" مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله : يجوزُ أَنْ يكونَ خبرَ مبتدأ مضمرٍ، لأنه لَمَّا تقدَّمَ: هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ: دَلَّ على ذلك المقدَّرِ أي: هو أي: الرسولُ بالهدى محمدٌ، و «رسولُ» بدلٌ أو بيانٌ أو نعتٌ، وأن يكونَ مبتدأً أو خبراً، وأن يكونَ مبتدأً ،و رسولُ اللَّهِ: على ما تقدَّم من البدلِ والبيانِ والنعتِ.

و«الذين معه» عطفٌ على «محمدٌ» والخبرُ عنهم قوله: أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار .

وابن عامر في روايةٍ «رسولَ الله» بالنصبِ على الاختصاصِ، وهي تؤيِّدُ كونَه تابعاً لا خبراً حالةَ الرفعِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ «والذين» على هذا الوجه مجروراً عطفاً على الجلالة؛ أي: ورسولُ الذين آمنوا معه؛ لأنه لَمَّا أُرْسِل إليهم أُضيف إليهم فهو رسولُ اللَّهِ بمعنى: أنَّ اللَّهَ أرسله، ورسولُ أمتِه بمعنى: أنه مُرْسَلٌ إليهم، ويكون «أشدَّاءُ» حينئذٍ خبرَ مبتدأ مضمر أي:هم أشدَّاء.

ويجوزُ أَنْ يكونَ تَمَّ الكلام على «رسولُ الله» و «الذين معه» مبتدأٌ و«أشدَّاءُ» خبره.[1]

وقرأ الحسن «أشداءَ، رحماءَ» بالنصبِ: إمَّا على المدحِ، وإمَّا على الحال من الضميرِ المستكنِّ في «معه» لوقوعِه صلةً، والخبرُ حينئذٍ عن المبتدأ.

قوله: تَرَاهُمْ رُّكَّعاً سُجَّداً حالان؛ لأنَّ الرؤيةَ بَصَرِيَّةٌ، وكذلك «يَبْتَغُون» يجوزُ أَنْ يكونَ مستأنفاً، وإذا كانَتْ حالاً فيجوزُ أَنْ تكونَ حالاً ثالثةً مِنْ مفعول «تَراهم»، وأن تكونَ من الضمير المستترِ في «رُكَّعاً سجداً».

وجَوَّز أبو البقاء أَنْ يكونَ «سُجَّداً» حالاً مِنَ الضمير في «رُكَّعاً» حالاً مقدرة. فعلى هذا يكونُ «يَبْتَغون» حالاً من الضميرِ في «سُجَّداً» فتكونُ حالاً مِنْ حال، وتلك الحالُ الأولى حالٌ مِنْ حال أخرى.

و «في وجوهِهِم» خبرُ «سِيماهم» .

قوله: مِّنْ أَثَرِ السجود: حال من الضمير المستتر في الجارّ، وهو «في وجوههم».

[1] السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،ج09ص720.

قوله:«ذلك مَثَلُهم»و «ذلك» إشارةٌ إلى ما تقدَّم من وَصْفِهم بكونهم أَشِدَّاءَ رُحَماءَ لهم سِيماهم في وجوههم، وهو مبتدأ خبرُه «مَثَلُهم» و «في التوراة» حالٌ مِنْ مَثَلُهم والعاملُ معنى الإشارة.

قوله: وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيل: يجوزُ فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّه مبتدأٌ وخبرُه» كزَرْعٍ «فيُوقَفُ على قولِه:» في التوراة فهما مَثَلان. وإليه ذهب ابن عباس.

وقد فصل محي الدين درويش في إعراب هذه الآية فقال:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ.

محمد مبتدأ: ورسول الله خبره. والذين مبتدأ ومعه ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة.

وأشداء خبر وعلى الكفار متعلقان بأشداء.

ورحماء خبر ثان وبينهم ظرف متعلق برحماء جمع رحيم.

(تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً) الجملة خبر ثالث؛ ولك أن تجعلها مستأنفة.

وتراهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به.

وركّعا سجّدا حالان، وجملة يبتغون مستأنفة كأنها جواب لسؤال نشأ عن مواظبتهم على الركوع والسجود .

كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون أو حال ثالثة وفضلا مفعول به ومن الله متعلقان بيبتغون ورضوانا عطف على فضلا.

سِيماهُمْ[1] فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ:سيماهم مبتدأ، وفي وجوههم خبر ومن أثر السجود حال ،ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ:ذلك مبتدأ والإشارة إلى الوصف الآنف؛ وهو كونهم أشدّاء رحماء؛ وسيماهم في وجوههم، ومثلهم خبره وفي التوراة حال.[2]

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ: ومثلهم مبتدأ وفي الإنجيل حال وكزرع خبر مثلهم وجملة أخرج شطأه صفة لزرع، ....فآزره عطف على أخرج وكذلك فاستغلظ وقوله فاستوى وعلى سوقه متعلقان باستوى أو بمحذوف حال أي كائنا على سوقه قائما عليها والسوق جمع ساق.[3]

[1] وفي السمة : ثلاث لغات السيما والسيماء والسيمياء وهي العلامة .

[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج09 ص255.

[3] المرجع نفسه،ج09 ص255.

فائدة في: فإن قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا؟

الجواب: قلت لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به وعد الله الذين آمنوا» فهو متعلق بوعد .

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً :وعد فعل ماض والله فاعل والذين مفعوله وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على الصلة ومنهم حال ومغفرة مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض يقال: وعده الأمر وبه، وأجرا عطف على مغفرة وعظيما نعت.[1]

الفرع السابع: من سورة الحجرات: قوله تعالى:أُأ ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم ّ الحجرات: ٢

ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الآية في موضع واحد؛ وهو قوله: "ولا تجهروا له بالقول".

ودلالة الضمير في هذه الآية أنه يدل على امتثال الأدب مع الرسول الكريم؛ وعدم رفع الصوت عليه، وذلك عرفانا لمنزلته وقيمته العلية ، وأن خفض الصوت من لوازم الإيمان برسالته وبنبوته، وأن الصحابة طبقوا هذا الأمر بطواعية ، وكانوا في كمال الأدب معه صلى الله عليه وسلم ، وإنما فعله بعض الأعراب الذين عرفوا بالجفاوة والقسوة وعدم الاكتراث، وذلك لجهلهم بقيمة الرسول.

سبب نزول الآية :

لفهم معنى الآية وشرحها وبيانها وتفسيرها ينبغي أن نعرف سبب نزولها؛ وفي هذا قال ابن كثير كما نقله عنه الصابوني في صفوة التفاسير : روي أن ثابت بن قيس كان رفيع الصوت، فلما نزلت الآية قال: أنا الذي كنتُ أرفع صوتي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنا من أهل النار، حبط عملي، وجلس في أهله حزيناً، فافتقده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقَّدك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما لك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأخبروه بما قال، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: لا بل هو من أهل الجنة».

[1] المرجع نفسه،ج09 ص255.

وفي رواية أترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال:رضيتُ ببشرى الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم،ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم."[1]

تفسير الآية:

قال الصابوني في تفسير هذه الآية :"وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بالقول كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ: أي ولا تبلغوا حدَّ الجهر عند مخاطبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كما يجهر بعضكم في الحديث مع البعض، ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً فتقولوا: يا محمد، ولكنْ قولوا يا نبيَّ الله، ويا رسول الله، تعظيماً لقدره، ومراعاةً للأدب قال المفسرون: نزلت في بعض الأعراب الجفاة الذين كانوا ينادون رسول الله باسمه، ولا يعرفون توقير الرسول الكريم أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ: أي خشية أن تبطل أعمالكم من حيث لا تشعرون ولا تدرون، فإن في رفع الصوت والجهر بالكلام في حضرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم استخفافاً قد يؤدي إلى الكفر المحبط للعمل."[2]

وقال ابن كثير في بيان معنى الآية: قَوْلُهُ:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ : هَذَا أَدَبٌ ثَانٍ أَدَّبَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ صَوْتِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.[3]

وقال الطاهر ابن عاشور في معنى الآية :" قَوْلُهُ: وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ نُهِيَ عَنْ جَهْرٍ آخَرَ وَهُوَ الْجَهْرُ بِالصَّوْتِ عِنْدَ خطابهم الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِوُجُوبِ التَّغَايُرِ بَيْنَ مُقْتَضَى قَوْلِهِ: لَا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيءِ وَمُقْتَضَى وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ. وَاللَّامُ فِي لَهُ لِتَعْدِيَةِ تَجْهَرُوا لِأَنَّ تَجْهَرُوا فِي مَعْنَى: تَقُولُوا، فَدَلَّتِ اللَّامُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجَهْرَ يَتَعَلَّقُ بِمُخَاطَبَتِهِ، وَزَادَهُ وُضُوحًا التَّشْبِيهُ فِي قَوْلِهِ: كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ.[4]

وَفِي هَذَا النَّهْيِ مَا يَشْمَلُ صَنِيعَ الَّذِينَ نادوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَيَكُونُ تَخَلُّصًا مِنَ الْمُقَدِّمَةِ إِلَى الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ، وَيَظْهَرُ حُسْنُ مَوْقِعِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

[1] الصابوني ،صفوة التفاسير، ج 03ص126.

[2] المرجع نفسه ،ج 03ص125-126.

[3] تفسير ابن كثير، ج07ص365.

[4] التحرير والتنوير ،ج 26ص221.

وأَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ فِي مَحَلِّ نَصَبٍ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ وَهُوَ لَامُ التَّعْلِيلِ وَهَذَا تَعْلِيلٌ لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُ لَا لِلنَّهْيِ، أَيْ أَنَّ الْجَهْرَ لَهُ بِالْقَوْلِ يُفْضِي بِكُمْ إِنْ لَمْ تَكُفُّوا عَنْهُ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ، فَحَبْطُ الْأَعْمَال بذلك مَا يُحْذَرُ مِنْهُ فَجَعَلَهُ مَدْخُولًا للام التَّعْلِيل مَصْرُوف عَنْ ظَاهِرٍ.

فَالتَّقْدِيرُ: خَشْيَةَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ، كَذَا يُقَدِّرُ نُحَاةُ الْبَصْرَةِ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ.[1]

ففي الآية خطاب إشاري شخصي ، وظف فيه لغة الاحترام من منظور عالي ، حيث حث الله من قصد الرسول في طلبه وحاجته أن يمتثل كمال الأدب معه بأن لا يرفع صوته في مناداته، وأن يكون في ذلك معظما لشأن هذا الرسول ، فهذه رسالة في خطاب قرآني إلى كل من أساء الأدب مع الرسول في حياته وإلينا بعد وفاته ، أن نمتثل مقام الأدب ، وأن نبجل سنته المطهرة في قضايا حياتنا اليومية.

فكان في هذا إشارة تداولية إلى كل من له عقل وفهم إلى قصد الامتثال والإتباع المؤدب مع الرسول الكريم.

إعراب الآية:

قال محي الدين درويش في إعراب الآية :

وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ: الواو عاطفة ولا ناهية وتجهروا فعل مضارع مجزوم بلا وله متعلقان بتجهروا وبالقول متعلقان بتجهروا أيضا.

والكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف أي:لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض.

ولبعض متعلقان بجهر لأنه مصدر.

وأن وما في حيزها في موضع نصب على أنه مفعول لأجله على حذف مضاف أي خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعه لا ترفعوا ولا تجهروا.[2]

الفرع الثامن:من سورة الذاريات:قوله تعالى:ﱡﱠ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ الذاريات: ٩

ورد الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السورة في موضع واحد وهو قوله تعالى : يؤفك عنه من أفك وبالتحديد في قوله :"عنه"

تفسير الآية:

قال محمد علي الصابوني في تفسيرها:" أي يُصرف عن الإيمان بالقرآن وبمحمد عليه السلام، من صُرف عن الهداية في علم الله تعالى وحُرم السعادة"[3]

[1] المرجع السابق، ج26 ص221.

[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج09ص258

[3] صفوة التفاسير، ج03ص234.

وقال ابن كثير في بيان معناها ، وقد ذهب إلى المعنى الثاني لها وهو القرآن الكريم: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ أَيْ: إِنَّمَا يُرَوَّجُ عَلَى مَنْ هُوَ ضَالٌّ فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ إِنَّمَا يَنْقَادُ لَهُ وَيَضِلُّ بِسَبَبِهِ وَيُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ هُوَ مَأْفُوكٌ ضَالٌّ غَمْر، لَا فَهْمَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالسُّدِّيُّ: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ: يَضِلُّ عَنْهُ مَنْ ضَلَّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ: يُؤْفَنُ عَنْهُ مَنْ أُفِنَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يُصْرَفُ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ مَنْ كَذَّبَ بِهِ.[1]

ودلالة الضمير في هذه الآية أنها بينت ضلال المشركين الضالين الذين حادوا عن طريق رب العالمين واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وأنهم صرفوا عن متابعة الرسول، واتبعوا أهوائهم. وقد بين الطاهر ابن عاشور دلالة الضمير فقال :"فَلَمَّا جَاءَ ضَمِيرُ غَيْبَةٍ بَعْدَ لَفْظِ قَوْلٍ احْتَمَلَ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ إِلَى قَوْلٍ لِأَنَّهُ مَذْكُورٌ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَى أَحْوَالِ الْمَقُولِ فِي شَأْنِهِ فَقِيلَ ضَمِيرٌ عَنْهُ عَائِدٌ إِلَى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ وَأَنَّ مَعْنَى يُؤْفَكُ عَنْهُ يُصْرَفُ بِسَبَبِهِ، أَيْ يُصْرَفُ الْمَصْرُوفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ".[2]

وفي هذا الخطاب القرآني إشارية شخصية وهي الضمير في قوله : "عنه" ضمير الغائب، تفيدنا أن المعاندين للرسول أفكوا عنه، فهذا بلاغ من مرسله وهو الله إلى كل من عاند وكابر، وأن محتوى الرسالة هو الامتثال والوقوف عند هذا الوحي وعدم الإعراض عنه ، وأن اتباع غير هذا السبيل فيه الضلال والزيغ والهلاك، والمصير هو الوقع في ما وقع فيه المكذبون الأوائل لهذا الدين المعرضون عن هذا النبي الكريم.

وإعراب الآية:كما قال صاحب كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون مع بيان لمعانيها هو:

يُؤْفَكُ عَنْهُ: صفةٌ لقول.

والضميرُ في «عنه» للقرآن، أو للرسول، أو للدِّين أو لِما تُوْعَدون أي: يُصْرَفُ عنه.

وقيل:عن للسبب.والمأفوكُ عنه محذوفٌ، والضميرُ في «عنه» على هذا ل«قولٍ مختلفٍ» أي: يُؤْفَكُ بسبب القولِ مَنْ أراد الإِسلام بأَنْ يقول: هو سحرٌ، هو كِهانَةٌ.

والعامَّةُ على بناء الفعلَيْن للمفعول. وقتادة وابن جبير:«يُؤْفَكُ عنه مَنْ أَفَك» الأول للمفعول، والثاني للفاعل أي: يُصْرَفُ عنه مَنْ صَرَف الناسَ عنه.[3]

---

[1] تفسير ابن كثير، ج07 ص415.

[2] التحرير والتنوير،ج26 ص342.

[3] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج10ص43.

وقال محي الدين درويش في بيان بلاغة هذه الآية :

الكناية عن الموصوف: في قوله «يؤفك عنه من أفك» :كناية عن موصوف، وهو المكذب الجاحد للحق والضمير في عنه يعود للقرآن أو للرسول أي يصرف عنه من صرف صرفا لا أشد منه؛ ولا أعظم.

وقيل يعود إلى يوم القيامة، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه؛ فمنهم شاك ومنهم جاحد.

ثم قال يؤفك عن الإقرار بيوم القيامة من هو المأفوك، وفائدة الكناية هنا أنه لما خصص هذا بأنه هو الذي صرف أفهم أن غيره لم يصرف فكأنه قال: لا يثبت الصرف في الحقيقة إلا لهذا وكل صرف دونه يعتبر بمثابة المعدوم بالنسبة إليه.[1]

الفرع التاسع:من سورة الطور:قوله تعالى:ﱡ لخ لم له مج مح مخ مم نج ﱠ الطور: ٣٠

ورد الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الآية في قوله:"نتربص به"، وهو الضمير الغائب الموجود بحرف الجر الباء.

تفسير الآية :

قال الصابوني في تفسير هذه الآية:"أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون أي بل أيقول المشركون هو شاعر ننتظر به حوادث الدهر وصروفه حتى يهلك فنستريح منه؟ قال الخازن: وريبُ المنون حوادث الدهر وصروفه، وغرضهم أنه يهلك ويموت كما هلك من كان قبله من الشعراء، والمنون اسم الموت وللدهر وأصله القطع، سيما بذلك لأنهما يقطعان الأجل"[2]

وقال ابن كثير في تفسيرها:" أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ أَيْ: قَوَارِعُ الدَّهْرِ، وَالْمَنُونُ: الْمَوْتُ: يَقُولُونَ:نُنْظِرُهُ وَنَصْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ فَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ وَمِنْ شَأْنِهِ".[3]

ودلالة الضمير في هذه الآية أن المشركين من حقدهم وحسدهم للرسول أنهم ينتظرون موته، وأن هذا فيه حقد شديد عليه وعلى أصحابه، بعد ما اتهموه باتهامات باطلة، وأنه شاعر وكاهن ومجنون وساحر، حتى طلبوا وتمنوا موته والاستراحة منه، ومما يدعو إليه من زخرف القول كما وصفوه به.

وفي نص هذه الآية خطاب إشاري تداولي كان مرسله هو الله عزوجل يحكي لنا حقد المشركين والمعاندين لهذه الدعوة، وأنهم يطمعون ويتمون موت هذا الرسول، ودل على هذا السياق قوله: نتربص به، فالضمير

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج09 ص305.

[2] الصابوني، صفوة التفاسير، ج 03ص248-249.

[3] تفسير ابن كثير،ج07 ص437.

أفادنا إشارة إلى الحقد والرغبة الحثيثة في موته، والتخلص منه، ومما يدعو إليه، ومحتوى هذا الخطاب أن الأنبياء عانت في سبيل دعوتها، وأن المخاطبين بهذا هم كل من وقفوا ضدها، وضد من يدعو إليها.

فكان في هذه الإشارية الشخصية من بيان لمعنى هذا الخطاب ما تسمو النفوس للإطلاع عليه وامتثاله.

وإعراب هذه الآية :

(أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ): أم منقطعة بمعنى بل وقد ذكرت هنا خمس عشرة مرة. وكلها إلزامات ليس للمخاطبين بها جواب عنها، ويقولون فعل مضارع مرفوع وشاعر خبر لمبتدأ محذوف وجملة نتربص به صفة لشاعر وبه متعلقان بنتربص وريب المنون مفعول به.[1]

وفي قوله: «نتربص به ريب المنون» استعارة تصريحية فقد أطلق الريب على الحوادث والريب الشك وشبّهت الحوادث بالريب أي الشك لأنها لا تدوم ولا تبقى على حال.[2]

وقال صاحب كتاب الدر المصون في تفسيرها: أَمْ يَقُولُونَ:قال الثعلبي:«قال الخليل كلُّ ما في سورة الطور مِنْ أم فاستفهامٌ وليس بعطفٍ.

وقال أبو البقاء: أم في هذه الآياتِ منقطعةٌ .

قلت:وتقدَّم لك الخلافُ في المنقطعةِ:هل تتقدَّرُ ب بل وحدَها، أو ب بل والهمزةِ، أو بالهمزةِ وحدَها، والصحيحُ الثاني.[3]

وقال مجاهد في قوله:«أم تأمرهم» تقديره:بل تأمرهم. وقرأ {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونُ}بدلَ «أم هم» .

قوله: نتَرَبَّصُ :في موضعِ رفعٍ صفةً لشاعر.

والعامَّةُ على «نتربَّصُ» بإسنادِ الفعل لجماعة المتكلمين «ريبَ» بالنصب.

وزيدُ بن علي «يتربَّص» بالياء مِنْ تحتُ على البناء للمفعولِ «ريبُ» بالرفع.

وريبُ المنونِ: حوادثُ الدهرِ وتقلُّباتُ الزمانِ لأنها لا تدوم على حالٍ كالرَّيْبِ وهو الشَّكُّ، فإنه لا يبقى.[4]

الفرع العاشر:من سورة النجم:ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة مواضع، وبيانها وتفصيلها على النحو الآتي:

:الموضع الأول:في قوله تعالى:ﱡ يح يخ يم يى ﱠ النجم: ٥

جاء الضمير الغائب العائد على الرسول في قوله:"علمه"وفسر هذه الآية ابن كثير رحمه الله بقوله:

---

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج 09ص337.

[2] المرجع نفسه، ج 09ص339.

[3] السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،ج10ص76.

[4] المصدر السابق ،ج10ص76.

"يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمه الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَى النَّاسِ :شَدِيدُ الْقُوَى، وَهُوَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ:إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ."[1]

وقال الصابوني في تفسيرها:" عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى: أي علَّمه القرآن ملكٌ شديدٌ قواه وهو جبريل الأمين قال المفسرون: ومما يدل على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين، وكان هبوطه بالوحي على الأنبياء أو صعوده في أسرع من رجعه الطرف."[2]

و أما الموضع الثاني من سورة النجم ففي قوله تعالى:﴿ **ثم ثن ثى ثي فى** ﴾ النجم: ١٢

قال الصابوني في تفسيرها وبيانها:

أَفَتُمَارُونَهُ على مَا يرى :أي أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما رأى ليلة الإسراء والمعراج؟ قال في البحر: كانت قريش حين أخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأمره في الإسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بيت المقدس، والجمهور على أن المرئي مرتين هو جبريل، وعن ابن عباس وعكرمة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رأى ربه بعيني رأسه، وأنكرت ذلك عائشة وقالت إنه رأى جبريل في صورته مرتين ثم قال أبو حيان:والصحيح أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل".[3]

وقال الطاهر ابن عاشور في تفسير هذه الآية: الْأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا رَدٌّ لِتَكْذِيبٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا بَلَغَهُمْ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رُؤْيَةِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَلَكَ جِبْرِيلَ وَهُوَ الَّذِي يُؤْذِنُ بِهِ قَوْلُهُ بَعْدَ: أَفَتُمارُونَهُ عَلى مَا يَرى... أَيْ أَفَسَتُكَذِّبُونَهُ فِيمَا يَرَى بِعَيْنَيْهِ كَمَا كَذَّبْتُمُوهُ فِيمَا بَلَغَكُمْ عَنِ اللَّهِ، كَمَا يَقُولُ قَائِلٌ:أَتَحْسَبُنِي غَافِلًا» وَقَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِلْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ فِي قَضِيَّتِهِمَا أَتُحَاوِلَانِ مِنِّي قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ.[4]

وتفسير الموضع الثالث: في قوله تعالى:﴿ **بى بي تج تح تخ تم ته** ﴾ النجم: ١٨

قال فيه الصابوني:" لَقَدْ رأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكبرى: أي والله لقد رأى محمد ليلة المعراج عجائب ملكوت الله، رأى سدة المنتهى، والبيت المعمور، والجنة والنار، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناحٍ، ورأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سدَّ الأفق، وغير ذلك من الآيات العظام.

---

[1] تفسير ابن كثير ،ج07ص444.

[2] صفوة التفاسير، ج03ص255

[3] المرجع السابق،ج03 ص256.

[4] التحرير والتنوير،ج27 ص98-99.

قال الفخر: وفي الآية دليلٌ على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رأى ليلة المعراج آياتِ الله ولم يرَ الله كما قال البعض، ووجهه أن الله ختم قصة المعراج برؤية الآيات، وقال في الإسراء لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن ولأخبر تعالى به.[1]

ودلالة الضمير في هذه الآيات أو الثلاثة من الخطاب القرآني،تحمل مجموعة من الإشاريات الشخصية، وهي الضمير في قوله: علمه، وقوله تعالى: أفتمارونه، وقوله :ربه، وهي كلها ضمائر غيبة تدل على حضور الرسول لمشاهد عظيمة في السماء السابعة ليلة الإسراء والمعراج ، وهذا لفيه تنويه بمقامه صلى الله عليه وسلم ، وأن ربه أكرمه به ،كما قال في الإسراء:"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لنريه من آياتنا"

فدل الضمير في هذه المقاطع من الخطاب القرآني على شهود الرسول لذلك اليوم؛ ونوه بمنزلته وأنه صعد بروح وجسد إلى السماء السابعة برفقة جبريل ، فصور لنا الضمير رحلة النبي إلى السماء بأبلغ صورة وأوضح عبارة ، تبرز لنا قيمة هذا الخطاب القرآني في نفوس المسلمين.

إذا فهذا خطاب تداولي كان المرسل والباث فيه للرسالة النافعة هو الله عزوجل يحكي لنا أمرا غيبيا، باشره الرسول لا تدركه عقولنا الصغيرة المحدودة، وأنه صعد به إلى السماء السابعة ،وأراه من آياته الكبرى في المنزلة وأن المشركين جادلوا في صعوده إلى السماء وإسرائه ليلا إليها، وأنهم كابروا وعاندوا ، ومضمون هذه الرسالة أن الرسول نال شرف عروجه إلى السماء ، وأن هذا الصعود اقترنت به رؤية للآيات الكبرى، وفرضت به الصلاة ، وأن أفعال الله كلها فيها حكم بالغة.

فالخطاب الإشاري بالضمائر الغائبة الدالة على الرسول فيه التقاط لصورة غيبية ، في أبلغ وجازة وأفصح عبارة، ترشدنا إلى المقصود من حكم الله من تشريع الإسراء والمعراج.

وإعراب هذه المواضع الثلاثة من سورة النجم هو:

قال صاحب كتاب الدر المصون :عَلَّمَهُ شَدِيدُ: يجوز أَنْ تكونَ هذه الهاءُ للرسول، وهو الظاهرُ، فيكونَ المفعولُ الثاني محذوفاً أي: عَلَّم الرسولَ الوحيَ أي: المُوْحى، وأن تكونَ للقرآنِ والوحيِ، فيكونَ المفعولُ الأولُ محذوفاً أي: عَلَّمه الرسولَ.

وشديدُ القُوى: قيل: جبريلُ وهو الظاهرُ ،وقيل: الباري تعالى لقوله: الرحمن عَلَّمَ القرآن وشديدُ القُوى: من إضافة الصفةِ المشبهة لمرفوعِها فهي غيرُ حقيقية.[2]

[1] صفوة التفاسير ،ج03ص257.

[2] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،ج10ص84.

وإعراب الموضع الثالث: الكبرى فيه وجهان، أحدُهما: وهو الظاهرُ أنَّ «الكبرى» مفعولُ رأى، و مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ: حالٌ مقدمةٌ. والتقدير: لقد رأى الآياتِ الكبرى من آياتِ ربه. والثاني: أنَّ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ وهو مفعولُ الرؤية والكُبْرى صفةٌ لآيات ربِّه.

وهذا الجمعُ يجوزُ وَصْفُه بوَصْف المؤنثةِ الواحدةِ، وحَسَّنه هنا كونُه فاصلةً.

وقد تقدَّم مِثْلُه في طه كقوله: لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكبرى.[1]

وأعرب هذه المواضع من سورة النجم محي الدين درويش فقال:" عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى الجملة صفة ثانية لوحي وعلّمه فعل ومفعول به وشديد القوى فاعل علّمه والمراد به جبريل (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى): ذو مرة صفة لشديد القوى والفاء عاطفة واستوى فعل وفاعل مقدّر"[2]

أَفَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى: الهمزة للاستفهام الإنكاري .

وتمارونه فعل وفاعل ومفعول به وعلى ما يرى متعلقان بتمارونه، وكان من حقه أن يتعدّى بفي كقولك جادلته في كذا، وإنما ضمن معنى الغلبة فعدّي تعديتها.

وجملة يرى صلة الموصول ويجوز أن تكون ما مصدرية. [3]

لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى: اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق، ورأى فعل ماض وفاعله مستتر، ومن آيات ربه حال مقدّمة على المفعول، والكبرى مفعول رأى،والتقدير لقد رأى الآيات الكبرى حال كونها من جملة آيات ربه.

ويحتمل أن تكون الكبرى صفة آيات ربه لا مفعولا به ويكون المرئي محذوفا لتضخيم الأمر وتعظيمه كأنه قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف، والحذف في مثل هذا أبلغ وأهول لأن فيه تفخيما لآيات الله الكبرى وأن فيها ما رآه، وفيها ما لم يره وهو على الوجه الأول يكون مقتضاه أنه رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم مع أن آيات الله مما لا يحيط أحد بجملتها.[4]

الفرع الحادي عشر:من سورة التحريم:ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في أربعة مواضع وهي:

الموضع الأول:في قوله تعالىَ:ﱡ ﱠ **ئر ئزئم ئن ئى ئي** بر **بز بم** بن بى بي تر **تز تم** تن تى تي **ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي** ﱠ التحريم: ٣

[1] المرجع نفسه ،ج 10ص91.

[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج 09 ص346.

[3] المرجع نفسه ،ج 09ص349.

[4] المرجع نفسه،ج 09 ص350.

الموضع الثاني:في قوله تعالى: **أُأنذ ئخ ئم ئه** بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم **جح جم حج** التحريم: ٥

الموضع الثالث:في قوله تعالى: **أُأنذ ئخ ئم ئه** بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم **جح جم حج** التحريم: ٥

الموضع الثالث:في قوله تعالى: **أُألخ** لم لى لي **مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ** نم نى ني **هج هم هى هي يج يح يخ** يم يى يي ذٰ **رٌّ ٍّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم** بن بى بي تر ً التحريم: ٨

قال الصابوني في تفسير الآيات الأولى:

شرع الله تعالى في بيان القصة التي حدثت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مع بعض زوجاته فقال:"وَإِذْ أَسَرَّ النبي إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً" أي واذكر حين أسرَّ النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى زوجاته حفصة خبراً واستكتمها إياه قال ابن عباس: هو ما أسرَّ إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه، كما أخبرها بأن الخلافة بعده تكون في أبي بكر وعمر، وطلب منها ألا تخبر بذلك أحداً، فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ: أي فلما أخبرت بذلك السرّ عائشة وأفشته لها وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ أي وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسرّ ،عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ، أي أعلمها وأخبرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعض الحديث الذي أفشته معاتباً لها، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها حياءً منه وكرماً، فإن من عادة الفضلات التغافل عن الزلات، والتقصير في اللوم والعتاب قال الحسن: ما استقصى كريمٌ قط، وقال سفيان: ما زال التغافل من شيم الكرام.

قال الخازن: المعنى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم مارية على نفسه، وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كره أن ينتشر ذلك في الناس فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ: أي فلما أخبر الرسول حفصة بأنها قد أفشت سرّه ،قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا: أي قالت: من أخبرك يا رسول الله بأني أفشيتُ سرك؟

قال أبو حيان:ظنت حفصة أن عائشة فضحتها وكانت قد استكتمتها فقالت من أنبأك هذا على سبيل التثبيت، فأخبرها أن الله جل وعلا هو الذي نبأه به فسكتت وسلَّمت :قَالَ نَبَّأَنِيَ العليم الخبير.[1]

وقال الصابوني في تفسير الموضع الثاني:إِن تَتُوبَآ إِلَى الله:الخطاب لحفصة وعائشة، خاطبهما بطريق الالتفات ليكون أبلغ من معاتبتهما وحملهما على التوبة مما بدر منهما من الإيذاء لسيد الأنبياء، وجوابه محذوف تقديره أي: إن تبتما كان خيراً لكما من التعاون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالإيذاء فَقَدْ

[1] الصابوني ، صفوة التفاسير،ج03ص384.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا أي فقد زاغت ومالت قلوبكما عما يجب عليكما من الإخلاص لرسول الله، بحب ما يحبه، وكراهة ما يكرهه ،وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ :أي وإن تتعاونا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بما يسوءه، من الوقيعة بينه وبين سائر نسائه.[1]

وقال الصابوني في تفسير الموضع الثالث:

عسى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ: قال المفسرون:عسى من الله واجبٌ أي حقٌّ واجب على الله إن طلقكنَّ رسوله أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ: أي أن يعطيه عليه السلام بدلكُنَّ زوجاتٍ صالحاتٍ خيراً وأفضل منكنَّ قال القرطبي: هذا وعدٌ من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه نساءً خيراً منهن، والله عاملٌ بأنه لا يطلقهن، ولكنْ أخبر عن قدرته، على أن رسوله لو طلقهن، لأبدله خيراً منهن، تخويفاً لهنَّ.

وقال الصابوني في تفسير الموضع الرابع: وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار: أي ويدخلكم في الآخرة حدائق وبساتين ناضرة، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة ،يَوْمَ لَا يُخْزِى الله النبي والذين آمَنُواْ مَعَهُ: أي يوم لا يفصح الله النبي وأتباعه المؤمنين أمام الكفار، بل يعزهم ويكرمهم قال أبو السعود: وفيه تعريضٌ بمن أخزاهم اللهُ تعالى من أهل الكفار والفسوق نُورُهُمْ يسعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ أي نور هؤلاء المؤمنين يضيء لهم على الصراط، ويسطع أمامهم وخلفهم وعن أيمانهم وشمائلهم، كإضاءة القمر في سواد الليل.[2]

وقال ابن كثير في تفسيرها: وَقَوْلُهُ:عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ،وَ عَسَى:مِنَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ،يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَيْ: وَلَا يُخْزِيهِمْ مَعَهُ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ. يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ: هَذَا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ يَرَون يَوْمَ الْقِيَامَةِ نورَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ طفِئ.[3]

ودلالة الضمير في هذه المواضع من سورة التحريم أنها تدل على عناية الله برسوله وحفظه الله من مما كادته له نساؤه، وأنه سيعلمه بذلك سيطلعه عليه، ودل على هذا المعنى إشارية الخطاب التداولي الشخصية وهو الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم،وهو الهاء، الغائب العائد على الرسول وقصته مع أزواجه حفصة وعائشة، وأنه عز وجل أعلم بكل ما أسرا به من كلام أخفياه عنه.

---

[1] المرجع السابق،ج03 ص385.

[2] صفوة التفاسير، ج03ص387.

[3] تفسير ابن كثير،ج08ص170.

ففي هذا النص القرآني خطاب إشاري تداولي كان المرسل فيه هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمستقبل هن أزواجه أو زوجتيه اللتين أخفيتا عنه السر، ومضمون هذا الخطاب أن الرسول مؤيد بالوحي من فوق سبع سماواته، وأن الله أطلعه على كل شيء، وأنه يعلم ما تخفيه عنه أزواجه صلى الله عليه وسلم.

إعراب الآيات:

(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً) الواو استئنافية وإذ مفعول به لفعل محذوف أي اذكر وجملة أسرّ النبي في محل جر بإضافة الظرف إليها وحديثا مفعول به.

(فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) الفاء عاطفة ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة متضمنة معنى الشرط.

وجملة نبأت في محل جر بإضافة الظرف إليها والأصل في أنبأ ونبأ وأخبر وخبّر وحدّث أن تتعدى إلى واحد بأنفسها وإلى ثان بحرف الجر ويجوز حذفه فتقول نبأت به المفعول الأول محذوف أي غيرها ومن أنبأك هذا أي بهذا قال نبّأني أي نبأني به أو نبأنيه فإذا ضمنت معنى أعلم تعدّت إلى ثلاثة مفاعيل.[1]

وقد تعدى نبأت في الآية لاثنين حذف أولهما والثاني مجرور بالباء أي نبأت به غيرها، وأظهره: الواو حرف عطف وأظهره أي أطلعه فعل ومفعول به والله فاعل وعليه متعلقان بأظهره وجملة عرف لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وبعضه مفعول به وأعرض عطف على عرف وعن بعض متعلقان بأعرض ،ومفعول عرف الثاني محذوف أي عرفها بعض ما فعلت، وفي قراءة عرف بالتخفيف أي جازى بالعتب واللوم كما تقول لمن يؤذيك لأعرفنّ لك ذلك أي لأجازينّك.[2]

(وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ):

الواو عاطفة وإن شرطية وتظاهرا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والألف فاعل وعليه متعلقان بتظاهرا. وجواب الشرط محذوف تقديره يجد ناصرا والفاء تعليلية.

وإن واسمها وهو ضمير فصل ومولاه خبران والوقف هنا، وجبريل مبتدأ وصالح المؤمنين عطف على جبريل. ويجوز أن تعطف جبريل وصالح المؤمنين على محل إن واسمها فالخبر عن الجميع مولاه وعلى الابتداء يكون الخبر قوله ظهير لأن فعيلا يستوي فيه الواحد.[3]

---

[1] محي الدين درويش،إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج10ص132 .

[2] المرجع نفسه،ج10ص133.

[3] المرجع نفسه،ج10ص133.

وإعراب الموضع الرابع كما يأتي: (يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ) الظرف متعلق بيدخلكم أو بفعل محذوف تقديره اذكر فيكون مفعولا به ولا نافية ويخزي الله فعل مضارع وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها والنبي مفعول به

(وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ) يجوز أن تكون الواو عاطفة والذين في محل نصب نسقا على النبي فيكون نورهم مبتدأ، وجملة يسعى خبر والجملة مستأنفة أو حالية، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والذين مبتدأ ،وجملة نورهم يسعى خبره وبين أيديهم الظرف متعلق بيسعى وبأيمانهم عطف على الظرف متعلق بما تعلق به.[1]

الفرع الثاني عشر:من سورة القلم:قوله تعالى:﴿**نن نى ني ىٰ ير يز يم** ين **يى يي ئج ئح** ئخ القلم: ٥١

ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السورة في موضع واحد وهو قوله:"إنه لمجنون"، وفي هذه الآية عودة إلى ما سبق بيانه من أن المشركين وصفوا مبلغ شريعة رب العالمين، الرسول الأمين؛ بالجنون والسحر والشعوذة والكهانة ،وقابلوه بأنواع الافتراء.

تفسير الآية :

لَمَّا سَمِعُواْ الذكر وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ: أي حين سمعوك تقرأ القرآن، ويقولون من شدة بعضهم وحسدهم لك، إن محمداً مجنون، قال تعالى رداً عليهم وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ: أي وما هذا القرآن المعجز إلا موعظة وتذكير للإنس والجن، فكيف ينسب من نزل عليه إلى الجنون.[2]

وقال الطاهر ابن عاشور في بيان مفردات الآية ومعانيها وبيان ما اشتمل عليه الضمير الغائب منها من معاني فقال:"وَاللَّامُ فِي لَيُزْلِقُونَكَ لَامُ الْابْتِدَاءِ الَّتِي تَدْخُلُ كَثِيرًا فِي خَبَرِ إِنْ الْمَكْسُورَةِ وَهِيَ أَيْضًا تُفَرِّقُ بَيْنَ إِنْ الْمُخَفَّفَةِ وَبَيْنَ (إِنْ) النَّافِيَةِ.

وَضَمِيرُ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ عَائِدٌ إِلَى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِكَايَةً لِكَلَامِهِمْ بَيْنَهُمْ، فَمَعَادُ الضَّمِيرِ كَائِنٌ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ، أَوْ لَيْسَ لِلضَّمِيرِ مَعَادٌ فِي كَلَامِهِمْ لِأَنَّهُ مُنْصَرِفٌ إِلَى مَنْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ فِي غَالِبِ مَجَالِسِهِمْ. وَالْمَعْنَى: يَقُولُونَ ذَلِكَ اعْتِلَالًا لِأَنْفُسِهِمْ إِذْ لَمْ يَجِدُوا فِي الذِّكْرِ الَّذِي يَسْمَعُونَهُ مَدْخَلًا لِلطَّعْنِ فِيهِ فَانْصَرَفُوا إِلَى الطَّعْنِ فِي صَاحِبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ لِيَنْتَقِلُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْجَارِيَ عَلَى لِسَانِهِ لَا يُوثَقُ بِهِ لِيَصْرِفُوا دَهْمَاءَهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ، فَلِذَلِكَ أَبْطَلَ اللَّهُ قَوْلَهُمْ: إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ بِقَوْلِهِ: وَما هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

[1] المرجع السابق، ج10ص138-139.

[2] صفوة التفاسير ،ج03ص407.

لِلْعالَمِينَ، أَيْ مَا الْقُرْآنُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ بِكَلَامِ الْمَجَانِينِ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ النَّاطِقَ بِهِ لَيْسَ مِنَ الْمَجَانِينِ فِي شَيْءٍ."[1]

ففي نص هذه الآية خطاب إشاري شخصي دل علي شخصيته الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:"إنه"، أخبر فيه الله عز وجل وهو المرسل لهذا الخطاب القرآني العظيم عن أحد أقوال قوم الرسول صلى الله عليه وسلم الذين اتهموه بالجنون والشعوذة ، وأنه يقول كلاما ليس بكلام البشر، وهذا بعد سماعهم له، وهذه رسالة إلى كل من عاند دعوة الرسل ووقف في صفها ، واتهم دعاتها بالكذب والسحر والتخريف .

فدل ضمير الغيبة على معنى هذا النص القرآني بأبلغ عبارة وأوجزها، الذي كانت فيه رسالة عظيمة إلى دعاة هذا الزمان وأنهم سيلقون مثل ما لاقي الرسول من الأذى في سبيل تبليغ الدين.

وإعراب هذه الآية كما في كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه هو: وجواب لما محذوف للدلالة عليه أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك .

ويَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ: الواو عاطفة ويقولون عطف على يزلقونك، وإن واسمها واللام المزحلقة ومجنون خبرها والجملة مقول قولهم.[2]

الفرع الثالث عشر:من سورة الحاقة:ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول قوله تعالى: ﴿ **ثر ثز ثم ثن** ﴾ الحاقة: ٤

الموضع الثاني قوله تعالى:﴿ **ثى ثي فى في قى** ﴾ الحاقة: ٤٦

الموضع الثالث:قوله تعالى:﴿ **قي كا كل كم كى كي لم** ﴾

ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المواضع من آيات سورة الحاقة ، ويدل كل ضمير فيها على حفظ الله عز وجل لدينه، وأن هذا النبي الذي كلفه بتبليغه وبيانه للناس لا يستطيع أن يغير فيه ولو آية واحدة،فلو اختلق محمد الأقوال، ونسب إلى الله ما لم يقله لأَخَذْ مِنْهُ باليمين أي لانتقم منه بقوته وقدرته ولقطع منه نياط قلبه حتى يموت.وما يقدر أحد منكم أن يحجز بين الله وبينه.

[1] التحرير والتنوير،ج29ص108.

[2] محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج10ص186.

ذكر الصابوني في تفسير هذه الآيات: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل: أي لو اختلق محمد الأقوال، ونسب إلينا ما لم نقله لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين أي لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا ،ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوتين: أي ثم لقطعنا نياط قلبه حتى يموت.

قال القرطبي: والوتينُ عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه والغرض أنه تعالى يعاجله بالعقوبة ولا يمهله، لو نسب إلى الله شيئاً ولو قليلاً، فإن تسمية الأقوال بالأقاويل للتصغير والتحقير فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ أي: فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه، لو أردنا حينئذٍ عقوبته، ولا أن يدفع عنه عذابنا قال الخازن: المعنى إن محمداً لا يتكلم الكذب علينا لأجلكم، مع علمه أنه لو تكلم لعاقبناه، ولا يقدر أحدٌ على دفع عقوبتنا عنه.[1]

وقال ابن كثير رحمه الله في بيان معاني هذه الآيات :

يَقُولُ تَعَالَى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا أَيْ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ كَمَا يَزْعُمُونَ مُفْتَرِيًا عَلَيْنَا، فَزَادَ فِي الرِّسَالَةِ أَوْ نَقَصَ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ فَنَسَبَهُ إِلَيْنَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لَعَاجَلْنَاهُ بِالْعُقُوبَةِ.

وَلِهَذَا قَالَ:لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ قِيلَ: مَعْنَاهُ لَانْتَقَمْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، وَقِيلَ: لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِيَمِينِه ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ نِيَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ العِرْقُ الَّذِي الْقَلْبُ مُعَلَّقٌ فِيهِ. وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَكَمُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُسْلِمٌ البَطِين، وَأَبُو صَخْرٍ حُميد بْنُ زِيَادٍ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: هُوَ الْقَلْبُ ومَرَاقُّه وَمَا يَلِيهِ.

وَقَوْلُهُ: فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ، أَيْ: فَمَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَدْنَا بِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَالْمَعْنَى فِي هَذَا بَلْ هُوَ صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، مُقَرِّرٌ لَهُ مَا يُبَلِّغُهُ عَنْهُ، وَمُؤَيِّدٌ لَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالدَّلَالَاتِ الْقَاطِعَاتِ.[2]

ففي هذا النص القرآني خطاب إشاري، دل عليه الضمير الغائب،حيث بين نوع الإشارية في هذا السياق؛ وأنها شخصية، دل على ذلك عود الضمير على شخص واحد في جميع مقاطعها وسياقاتها.

كان المخاطب فيه هو الله عز وجل يرسل رسالة إلى المكذبين؛ وإلى الناس عامة؛يخبر فيها أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكذب في رسالته التي اصطفاه لتبليغها، وأنه حافظ للسر أمين على

[1] الصابوني ، صفوة التفاسير،ج03ص415.

[2] تفسير ابن كثير ،ج08ص218.

الوحي، وأنه لو تقول شيئا من عنده لأخذه الله ولعاقبه على ما تقوله وما قاله من تلقاء نفسه، ولا أحد منا يستطيع منعه ولا نصرته، وقد كان الرسول الكريم في أبلغ درجات الصدق والأمانة.

إعراب هذه الآيات :

قال محي الدين درويش في إعرابها: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ):

الواو عاطفة ولو شرطية وتقوّل فعل ماض وفاعله يعود على النبي صلّى الله عليه وسلم وتأدب أبو حيان فقال أنه يعود على المتقوّل المضمر وليس عائدا على الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم لاستحالة وقوع ذلك منه.

قال أبو حيان:فنحن نمنع أن يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه عليه الصلاة والسلام، وعلينا متعلقان بتقول وبعض الأقاويل نائب مفعول مطلق.

(لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) اللام واقعة في جواب لو وأخذنا فعل وفاعل ومنه متعلقان بأخذنا وباليمين يجوز أن تكون الباء على أصلها غير مزيدة .

والمعنى لأخذناه بقوة منّا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون منه في حكم الزائدة ويجوز أن تكون الباء زائدة والمعنى لأخذنا منه يمينه.

(ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ولقطعنا عطف على لأخذنا ومنه متعلقان بقطعنا أو بمحذوف حال والوتين مفعول به.

(فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ) الفاء عاطفة وما نافية حجازية ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد فلما تقدم صار حالا ومن حرف جر زائد وأحد مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه اسم ما وعنه متعلقان بحاجزين وحاجزين خبر ما لأنه هو محطّ الفائدة.[1]

الفرع الرابع عشر:من سورة عبس:ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ﴾ عبس: ١

ورد الضمير الغائب العائد على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية في قوله تعالى:أن جاءه:فالهاء اتصلت بالفعل جاء، لتدل على أنه النبي صلى الله عليه وسلم هو المعني بها،فسياق الآية السابق يدل على ذلك ،كما تخبر بذلك أسباب النزول.

جاء في تفسير هذه الآيات:عَبَسَ وتولى أَن جَآءَهُ الأعمى أي كلح وجهه وقطَّبه وأعرض عنه: كارهاً، لأنْ جاءه الأعمى يسأل عن أمور دينه.

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج10ص206.

قال الصاوي: إنما أتى بضمائر الغيبة عَبَسَ وتولى تلطفاً به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلالاً له، لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة الصعوبة واسم الأعمى ،عبد الله بن أُم مكتوم، وكان بعد نزول آيات العتاب إذا جاءه يقول له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط له رداءه.[1]

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات: ذَكَرَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يخاطبُ بَعْضَ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمع فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُ وَيُنَاجِيهُ إِذْ أَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ–وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا–فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ وَيُلِحُّ عَلَيْهِ.

وودَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مُخَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ، وعَبَس فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى.[2]

ويدل الضمير الغائب في هذه الآية على إشفاق الله برسوله وتلطفه به، وإجلالا لمقامه، ورغم أن هذا كله في سياق العتاب له، ولم يستعمل ضمير الخطاب لثقله في العتاب على النفوس.

ففي هذا السياق من الآيات خطاب إشاري شخصي، دل عليه ضمير الغيبة ،كان المرسل فيه هو الله عز وجل يعاتب نبيه، على كرهه للأعمى ابن أم مكتوم وعبوسه في وجهه، والمخاطب بهذه الرسالة هم دعاة هذا الزمان بأن يحسنوا معاملة الخلق،ويقدروا المصالح والمفاسد، وأن يكونوا وجها حسنا لمن يدعونه، فالمظهر يدل على المخبر والأخلاق تكسب الناس وترقى بهم في درجات التدين.

وإعراب هذه الآيات كالأتي:

عبس وتولى فعلان ماضيان مبنيان على الفتح؛ وفاعلهما مستتر تقديره هو ؛وإنما جيء في هذين الموضعين؛ وفي موضع ثالث بعدهما إجلالا له عليه الصلاة والسلام ولطفا به لما في المشافهة والمجابهة بتاء الخطاب ما لا يخفى.

وأن جاءه في موضع نصب مفعول لأجله وناصبه إما عبس وإما تولى.

وجاءه فعل ماض ومفعول به والأعمى فاعل؛ والأولى أن يقال أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بعبس لأن المجيء ليس من أفعال القلوب فاحتل شرط من شروط نصب المفعول لأجله.[3]

---

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج 03ص494.

[2] تفسير ابن كثير ،ج08ص319.

[3] محي الدين درويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج10ص375.

الفرع الخامس عشر:من سورة التكوير:قوله تعالى:ﱡﱁ ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ التكوير: 23- ص24

ورد الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات في قوله تعالى:"رءاه" وفي الآية الأخرى في قوله :"هو".

وتفسير هذه الآيات:

وَلَقَدْ رَآهُ بالأفق المبين: أي وأقسمُ لقد رأى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جبريل في صورته الملكية التي خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى البيّن من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس.

قال في البحر:وهذه الرؤية بعد أمر غار حراء، حين رأى جبريل على كرسي بين السماء والأرض، في صورته له ستمائة جناح قد سدَّ ما بين المشرق والمغرب ،وَمَا هُوَ عَلَى الغيب بِضَنِينٍ أي: وما محمد على الوحي ببخيل يقصِّر في تبليغه وتعليمه، بل يبلغ رسالة ربه بكل أمانةٍ وصدق.[1]

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات: يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى محمدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ، بِالأُفُقِ الْمُبِينِ أَيِ: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأَوْلَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ:عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، كَمَا تَقَدَّمَ تفسيرُ ذَلِكَ وَتَقْرِيرُهُ.

والدليلُ أَنَّ المرادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالظَّاهِرُ-وَاللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ:وَلَقَدْ رَآهُ نزلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، فَتِلْكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ "النَّجْمِ"، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ.

وَقَوْلُهُ:وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ أَيْ: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِظَنِينٍ، أَيْ: بِمُتَّهَمٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالضَّادِ، أَيْ: بِبَخِيلٍ، بَلْ يَبْذُلُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَينة:ظَنِينٌ وَضَنِينٌ سَوَاءٌ، أَيْ:مَا هُوَ بِكَاذِبٍ، وَمَا هُوَ بِفَاجِرٍ. وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ.[2]

فدل الضمير الغائب في هذه الآيات على صدق رؤية الرسول لجبريل أمين وحي السماء، وأنه ما افترى في ذلك كذبا،وأنه صادق بريء من كل الإدعاءات والافتراءات،والكذب على الله عزوجل، ولهذا قال الله

[1] الصابوني، صفوة التفاسير،ج03 ص500.

[2] تفسير ابن كثير،ج08 ص339.

فيه وما هو على الغيب بظنين، أي: بمتهم في ما يقوله. وأنه الصادق الأمين كما وصفته بذلك قريش قبل نبوته.

ففي هذا الخطاب القرآني إشارية شخصية واضحة،من أبرز علاماتها؛ ضمير الغيبة هو العائد على معين بالخطاب دل عليه السياق، حيث كان مرسل هذا الخطاب هو الله عزوجل من فوق سبع سماواته يخبر عن صدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته، وأنه أمين الله على وحيه في أرضه، وأن ما يقواه من وحي هو صدق وحق ، وأن الله حافظ دينه من ظلم كل معتد وحاقد.

فكانت دلالة الضمير على هذه المعاني دلالة موجزة في أبلغ عبارة.

وإعراب هذه الآيات: وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ:

عطف على قوله إنه لقول إلخ فهو داخل في حيز المقسم به؛

واللام جواب للقسم المحذوف؛ وقد حرف تحقيق ورآه فعل ماض وفاعل مستتر.

وبالأفق متعلقان برآه والمبين نعت للأفق.

(وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) عطف أيضا وما نافية حجازية.

وهو اسمها وعلى الغيب متعلقان بضنين والباء حرف جر زائد وضنين مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ما وعلى بمعنى الباء، أي فلا يبخل به عليكم بل يخبركم به.

وقرىء بظنين بالظاء المعجمة أي بمتهم، وفي المصباح:«والظنة بالكسر التهمة وهي اسم من ظننته من باب قتل إذا اتهمته فهو ظنين فعيل بمعنى مفعول، وفي السبعة وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم» .

وفي المصباح أيضا:«ضن بالشيء يضنّ من باب تعب ضنا وضنّة بالكسر وضنانة بالفتح بخل فهو بخيل ومن باب ضرب لغة فيه.[1]

[1] محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه،ج 10ص396.

خاتمة

خاتمة:

وفي صفوة ختام هذا البحث نورد أهم محطات هذه الدراسة، وأهم ملاحظاتها ونتائجها والتي تمثلت في:

- الإشاريات بمفهومها وأنواعها ووظائفها لعبت دورا هاما في فهم الخطاب القرآني وتحليته لكل ناظر في أسراره ومميز لمعانيه و طالب لمقاصده العالية.

-الإشاريات مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الرمز أو المكان، حيث يتحيز الملفوظ الذي يرتبط به معناه، وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه.

- للإشاريات في الخطاب التداولي أنواع أشهرها أربعة ، مكانية و زمانية و شخصية واجتماعية.

-فالإشاريات المكانية هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو جهةً ووجهة.

-الإشاريات الزمانية هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة:"center dectic"، الزمانية في الكلام فإذا لم نعرف زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

-الإشاريات الشخصية هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل:أنا أو المتكلم ومعه غيره، مثل: نحن.والضمائر الدالة المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا كان أو مؤنثا، وضمائر الحاضر هي عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه.

-الإشاريات الاجتماعية هي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، فهي تشمل الملوفظات التي تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية:"formal" أو علاقة ألفة ومودة: "ntimacyi"، والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل لأصحاب المنزلة والمقام العالي: "honoripics " في مخاطبة من هم أكبر منا مقاما؛ أو غير رسمية وتشمل

التحيات، وما يتصل بالجانب الحميمي؛ أو من المتكلم عموما كاستخدام:"vous" في اللغة الفرنسية للمفرد المخاطب تبجيلا له، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما.

-في تطبيق الإشاريات بأنواعها في الخطاب القرآني من النظرة التداولية، بيان أن للمنهج الغربي الحديث في الدراسات اللسانية أصولا وقواعد من بلاغتنا العربية القائمة على معرفة عناصر العملية التواصلية من متكلم ,مخاطب و ضمائر، وإشارات، وخطاب، وسياق، وغيرها.

- لا مناط من معرفة إحالات الإشاريات الشخصية لفهم الخطاب القرآني، لأنها تحيل إلى طرفي الخطاب ، فتبين المقصود وتميز المخاطبين في كل واقعة وحادثة.

-للضمير في استعماله اللغوي عدة أنواع ووظائف وأحوال، تدل عليها سياقاته اللغوية في الخطابات المستعملة، وتختلف معانيه من سياق لأخر حسب دلالته اللغوية. وكما يخرج لأغراض بلاغية يدل عليها المقام.

- تنوعت الإشاريات الموظفة في الخطاب القرآني بأنواعها الأربعة،والذي عنته هذه الدراسة؛ وسلطت عليه الضوء هو نوع من أنواعها؛وهي الإشاريات الشخصية في جزء من الخطاب القرآني، وبالضبط الضمير،وهو الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم لتخصيص مجال الدراسة.

-تخصيص الدراسة بالضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم فيه إشارة إلى وظيفة الإشاريات الشخصية في الخطاب القرآني من المنظور التداولي.

-كان للضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم توظيف كبير في الربع الأخير من القرآن، فكان له في كل موضع من سورة أغراض ودلائل بلاغية ومعاني سامية.

-من السور التي وظف فيه الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم، واستفدنا منه دلالات لغوية ومعاني بلاغية :سورة يس، وص، والزخرف، والدخان، والأحقاف، والفتح، والحجرات ، والذاريات ، والطور، والنجم ، التحريم والقلم ، والحاقة، وعبس، والتكوير.

-في كل موضع وجد فيه الضمير كانت له دلالة بلاغية تدل على فصاحة هذا الخطاب الرباني.

ملخص المذكرة :

شغل الخطاب القرآني في الدراسات العربية القديمة والحديثة حيزا كبيراً من الاهتمام والعناية، حيث كان لابد من فهم مقاصد وأهداف هذا الخطاب فهما صحيحا، وإدراك لمعانيه.ولكن هذا لا يتأتى هذا إلا بآليات ووسائل ضرورية لابد للباحث من توظيفها والإحاطة بها،وأن يكون ملماً بأساسياتها، كي لا يزيغَ ويحيدَ تفكيره عن الفهم الصحيح له.

ومن أهم تلك الآليات:"الإشاريات"بأنواعها المشتهرة؛ المكانية والزمانية والاجتماعية والشخصية ،والتي كانت بارزة في القرآن الكريم، وتسليط الضوء على جانب من أنواعها؛ وهي الضمائر، والتي من أهمها:الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من الخطاب القرآني، وإبراز وظائفه ودلالاته اللغوية،وما احتواه من معاني بلاغية ، تبرز قيمة الخطاب التداولي في الدراسات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الإشاريات، إشاريات شخصية، القرآن الكريم، الضمائر، الضمير الغائب العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم.

summary:

The Quranic discourse in ancient and modern Arabic studies occupied a great deal of attention and care, as it was necessary to properly understand the purposes and objectives of this discourse, and to understand its meanings. In order not to deviate and deviate his thinking from the correct understanding of it.

Among the most important of these mechanisms are: the well-known “signals” of all kinds; Spatial, temporal, social and personal, which were prominent in the Holy Qur’an, highlighting an aspect of their types; These are the pronouns, the most important of which are: the absent pronoun belonging to the Messenger, may God bless him and grant him peace, in the last quarter of the Qur’anic discourse, highlighting its functions and linguistic connotations, and the rhetorical meanings it contains, highlighting the value of the deliberative discourse in contemporary studies.

Keywords: denotations, personal denotations, the Holy Qur'an, pronouns, the third person pronoun belonging to the Messenger, may God bless him and grant him peace.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1– ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار الفكر ، 1399هـ – 1979م.

2– ابن منظور، لسان العرب، مجموعة دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

3– أبو فارس الدحاح ، شرح ألفية ابن مالك ، مكتبة العكيبان ،الرياض، ط2004،1م.

4– أحمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، بيروت ، لبنان،2004م.

5– أحمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى،دط، دت. د، سنة النشر.

6– الأزهر الزناد، نسيج النص ، بحث ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1993م.

7– تفسير ابن كثير ،تحقيق :سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة:الثانية 1420هـ- 1999 م.

8– تفسير الزمخشري ،دتح ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407هـ.

9– حسان أحمد راتب المصري، دمشق، سورية: دار سعد الدين للطباعة و النشر.

10– حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني – مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، العدد 26بيروت، لبنان، ط11، 1383هـ، 1963م .

11– حموالحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،د، ط،تيزي وزو،الجزائر،دار الأمل،د، ت.

12– الحناش،محمد، الأساس المعرفي لنظومة الإبداع(مقاربة لسانية– تداولية)، في التواصل اللساني، المجلد العاشر ، العددان 1و2، 2001م.

13– ريبول، جاك سوشار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين ،دار سينا ، تراث المركز الوطني للترجمة ،تونس،(ط2)، 2010م.

14– السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق: أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق ،دط ، دس.

15– الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دتح ، الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: 1984هـ، دط.

16– عبد الرحمان بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة.

17– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م.

18– عمر محمد باحاذن: الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، دار المأمون للتراث، ط1، 1417هـ، 1997م، بيروت، لبنان،.

19– المتوكل ،أحمد ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي،دط،الرباط ،المغرب، دار الأمان، د، ت.

20– محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دتح ،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997 م.

21– محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على أليفة بن مالك، ط2.

22– محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ،دتح ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ.

23– مزيد بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، من أفعال الكلام إلى بلاغة الخطاب السياسي.

24– مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري،إستراتيجية التناص،ط3، الدار البيضاء،المغرب،المركز الثقافي العربي ،1992م.

25– مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التنا. ط3. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي:سنة: 1992م.

26– نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط،دت.

27– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب- دراسة معجمية- جدار الكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، ط1، 2009م.

28– وداد، علي يوسف ،البعد الإشاري في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية الأبعاد في بعض الآيات القرآنية، مجلة كلية التربية أبو عيسى ، جامعة الزاوية العدد السادس.

29– يقطين ،سعيد :انفتاح النص الروائي النص و السياق ط2، الدار البيضاء المغرب :المركز الثقافي العربي 2001م.

- **المراجع الأجنبية: باللغة الفرنسية :**

30– . Jeandillou, Jean-François : L'Analyse textuelle Cursus, Armand Collin. Paris, France, 1997.

31– MAINGUENEAU, Dominiqu : L'énonciation en linguistique française. 2édition. Hachette Paris France. :

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

البسملة	
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ – د
الفصل الأول : مفهوم الإشاريات في الخطاب التداولي	9
المبحث الأول : مفهوم الإشاريات لغة واصطلاحا	9
المطلب الأول : تعريف الإشاريات لغة	9
الفرع الأول : لغة	9
مصطلح الإشاريات عند العرب	9
مصطلح الإشاريات عند القدامى والمحدثين	10
المطلب الثاني : اصطلاحا	11
الفرع الأول : مفهوم الإشاريات في الدراسات اللسانية	11
الفرع الثاني : المفهوم العام للإشاريات	11
الفرع الثالث : آلية عمل الإشاريات	12
المطلب الثالث : مفهوم الإشاريات في الخطاب التداولي	13
المبحث الثاني : أهمية الإشاريات في الخطاب التداولي ووظائفها	15
المطلب الأول : أهمية الإشاريات في الخطاب التداولي	15
المطلب الثاني : وظائف الإشاريات	16
المبحث الثالث : أنواع الإشاريات في الخطاب التداولي	17
المطلب الأول : الإشاريات المكانية	18
المطلب الثاني : الإشاريات الزمانية	21
المطلب الثالث : الإشاريات الشخصية	23
المطلب الرابع : الإشاريات الاجتماعية	27

الفصل الثاني : الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن الكريم	30
المبحث الأول : الضمير الغائب تعريفه ودلالته في اللغة العربية	31
المطلب الأول : تعريف الضمير لغة واصطلاحا	31
الفرع الأول : تعريف الضمير لغة	31
الفرع الثاني : تعريف الضمير اصطلاحا	32
الفرع الثالث : أحوال الضمير	32
الفرع الرابع : تقسيمات علماء اللغة العربية لضمائر الغيبة	33
المبحث الثاني : الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم في الربع الأخير من القرآن دلالته ومعناه	34
المطلب الأول : دلالة الضمير الغائب العائد على الرسول في الربع الأخير	34
المطلب الثاني : معاني الضمير الغائب العائد على الرسول في الربع الأخير	36
خاتمة	83 – 82
ملخص المذكرة بالعربية	84
ملخص المذكرة بالإنجليزية	84
قائمة المصادر والمراجع	88 - 86
قائمة الموضوعات	91 – 90